مراتيون

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1800) السنة السابعة

الخميس (20) آيار 2010

الشيخ جلال الحنفي ذاكرة بغداد الشفاهية

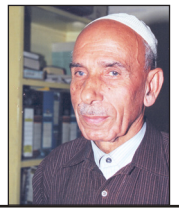

3

النشاط الفلكلوري للشيخ جلال الحنفي

10

جلال الحنفي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

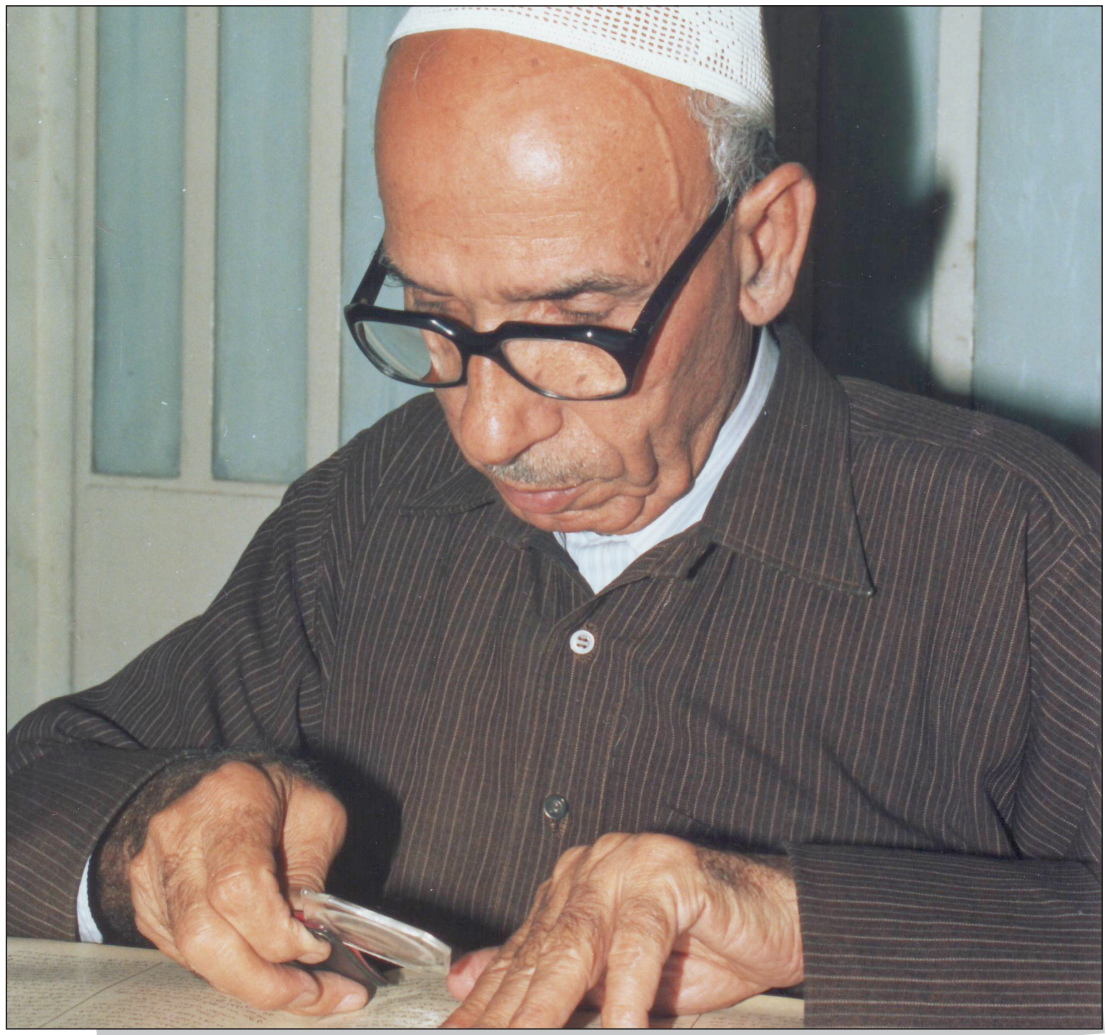

كتب تاريخ بغداد وتعلم الموسيقى وأرخ للمقام العراقي

رشيد الخيُّون

× اتخِذ الشيخ جلال الحنفي موقفاً جميلاً من أهل الأديان والأفكار الأخرى. كان منفتحاً على صديق يهودي مثل مير بصري، وآخر مسيحي مثل الأب أنستاس ماري الكرملي، وآخر مثل التراثي اليساري هادي العلوي

يبدو الشيخ جلال الحنفي (١٩١٤-٢٠٠٦)، وهو يطوي شوارع بغداد وأزقتها بجلبابه وعمامته الضامرة، كأنه أثر عباسي يُذكر بشيوخ علمِ الكلام وفقهاء المناظرات، التي كانت تُعقد بدار الخلافة أو بصحن المدرسة المستنصرية، وقد تداخلت الأزمنة فتأسست مجالس أدب وفكر كان الشيخ نجمها اللامع. ويجد الناظر في سلوك الشيخ، وفي مؤلفاته أنه أمام رجل دين من طراز آخِر، حاوَل الجمعَ بين الدين والدنيا جمعاً مريحاً، توسطاً واعتدالاً، ولم يصل إلى لحظة تسييس العلاقة بينهما.

لم يكن قادراً على تحمل مواجهة الناقدين، لذا ترك أمره لورثته. وربما تعرض الشيخ للنقد على اهتمامه في الموسيقى، الذي تعدى سماعها إلى تعلم العزف على آلاتها. وهنا اقتبس من كلمة الرشودي في تأبين الشيخ، ناقلاً عما كتبه في أحد دفاتره، وكان يستعد لتأليف كتابه «المقام العراقي وأعلام الغناء البغدادي»، لكن ما ورد لم ينشر للأسف في الكتاب المذكور.

قال: «بعد الاتكال على الله انتميت إلى معهد السيد محمد الحسيني في الموسكي، لتعلم فن العزف على العود، وقد دفعت له القسط الأول وقد أرخ ذلك سنة ١٩٤٠». قال الرشودي: «وهذا الصنيع يدل على أن الشيخ يرى رأي حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في حلية السماع، ما دام لا يشغلك عن عبادة ربك ولا يدعو إلى المجون والفجور. لأن الغزالي يرى الغناء والموسيقى ما هما إلا محاكاة لعندلة البلابل وهديل الحمائم وزقزقة العصافير، وهما من صنعة الله جل وعلا. فضلاً عن أن السماع يشجع الجبان ويندي كف البخيل الشحيح، ويوقظ المشاعر النبيلة في نفس الإنسان. ثم يخلص الغزالي إلى القول: فمن لم يرقه السماع فهو مختل المزاج ولا يجدي معه العلاج» (كلمة التأبين، جريدة المدى البغدادية).

وإن كان هذا رأي حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، فلعالم دين معاصر من أئمة الشيعة رأي مشابه في سماع الألحان. قال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٩٥٤)، أحد أهم مراجع النجف في الثلاثينيات وحتى النصف الأول من عقد الخمسينيات: «الغناء، سواء رافقته آلات الطرب الموسيقي أم لا، مباح، ما لم يستخف لسامع إلى حد يخرج معه عن الكمال، فهو إذ ذاك مشروع» (الخاقاني، شعراء الغري ٨ صـ١٥٥). وللشيخ المذكور ما هو أجرأ من ذلك، في بيئة مقفلة، إلا أنه كان يخشى تحريك العوام ضده. قال: «إن في صدري لعلماً جماً أخشى أن أبوح به من الشياطين الذين يوجهون العوام وفق مقاصدهم» (المصدر نفسه، ص ١١٧).

بعد هذا التيسير اتخذ الشيخ جلال الحنفي موقفاً جميلاً من أهل الأديان والأفكار الأخرى. كان منفتحاً على صديق يهودي مثل مير بصري (ت ٢٠٠٦)، وآخر مسيحي مثل الأب أنستاس ماري الكرملي (ت١٩٤٧)، وآخر مثل التراثي اليساري هادي العلوي، وربما تحادثا بالصينية معاً، فكلاهما علم العربية بالصين وتعلم لغة تلك البلاد. وكم تبدو الحاجة ماسة في عراق التناحر الطائفي لشيخ مثل جلال الحنفي، وهو مثلما وصفه بصري «رجل دين متسامح واسع الأفق» (أعلام الأدب في العراق الحديث). كان يُسعد بتقديم مؤلفاته بقلم الشيخ محمد رضا الشبيبي (ت ١٩٦٥). وقال في الشبيبي: «ولزام أن أثني الثناء الكبير على الأستاذ العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي لتفضله بتقديم الأمثال البغدادية، ومثل الشبيبي غنيٌ فضله ومقامه عن التعريف»(الأمثال البغدادية).

وللحنفي صداقات متينة مع علماء ووجهاء شيعة آخرين، قد تسقط فيها تكاليف المجاملة. أخبرني الباحث والشاعر إبراهيم العاتي، أن والده الشيخ النجفي عبد الزهرة العاتي قد مر يوماً بمحاذاة جامع الخلفاء، حيث سوق الغزل القديم ببغداد، وقد لمحه إمام الجامع الشيخ جلال الحنفي، فخرج مهرولاً وهو يصيح: «يا شيخ عبد الزهرة»! ولما التفت له، قال: «أراك تمر من هنا ولم تتذكرني بزيارة». ومعلوم أن اسم عبد الزهرة، بحد ذاته، يشي بأشياء عديدة لدى مَنْ هم أقل انفتاحاً من الشيخ الحنفي، بينما هو اسم متداول بين أهل العراق!

لم أقرأ كتاب الشيخ الحنفي حول الشاعر معروف الرصافي (ت ١٩٤٥)، الذي صدر مطبوعاً تحت عنوان «الرصافي في أوجهِ وحَضيضه» (بغداد ١٩٦٢)، إلا أن للشيخ قضية مع الرصافي، حول ما ورد في كتابه «رسائل التعليقات»، وما أثير من ضجة ضده العام ١٩٤٤. وقيل ذهب الحنفي إلى النجف لاستصدار فتوى من المرجعية الشيعية آنذاك لتكفير الرصافي، وسمعت من الباحث المقيم ببغداد رفعة عبد الرزاق محمد أنه طلبها بسبب ما ورد في كتاب الرسائل. ومهما كان الغرض من التكفير، إلا أن هذا السلوك لم يناسب ما دأب عليه الحنفي من تسامح في طرح الأفكار، ومع ذلك أجد في الحادث دلالة الوئام الطائفي لدى الشيخ، قياساً بما يحدث اليوم من فرقة وتباعد، وهو أن رجل دين سُنِّياً حنفياً يطلب فتوى من عالم دين شيعي ضد شاعر سُنِّي حنفي! وينقل بصري أن وراء الضجة ضد الرصافي «تحريض وتشجيع من البلاط الملكي انتقاماً منه (الرصافي) لهجوه الأمير عبد الإله (الوصي)، ومساندته حركة مايس ١٩٤١ ضد الإنجليز»(أعلام الأدب في العراق الحديث).

سعى الشيخ جلال بنشاط لتكفير الرصافي، والبغداديون بعد لم ينسوا إثارة الضجة ضده سنة ١٩٠٨، وهو عام إصدار الدستور العثماني من قبل مؤيدي الاستبداد، بسبب قراءة الشاعر لبيان الإتحاديين بإعلان الدستور وسط بغداد، حتى سرب رجال الدين إشاعة مفادها: «أن الرصافي أسكت قارئ القرآن، وأهانه» (الوردي، لمحات اجتماعية). ولا صحة لذلك. وقد هجا الرصافي الشيخ الحنفي بقصيدة منها:

ولست بمعجزي أبداً، فإني

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

الشيخ جلال الحنفي ذاكرة بغداد الشفاهية

خالد السلطاني

على كبح الغواة قصرت عمري
شحاك عليَّ بالنكراء شاحِ
وكم أغراك بالنبهاء مُغرٍ

وعلى الرغم من ذلك، ظل التسامح المذهبي والفكري وتعاليه على الطائفية سجية من سجايا الشيخ جلال لحنفي، حتى جاء في وصيته: «أوصي بعدم إقامة مجلس فاتحة لي. وتقبلوا تعازي كل من جاءكم إلى البيت وأحسنوا ضيافته. وأوصي أن يصلي علي تلميذي الشيخ عدنان الربيعي مسبلاً ولا أريد تشييعاً، وبالنسبة لكتاب معجم اللغة العامية البغدادية جمعت قصاصاته في خزانات المكتبة، أتمنى أن يأتي من يحب بغداد ويطبع هذا الكتاب ليخلد لبغداد لغتها». والمسبل هو مرسل اليدين في الصلاة، وهذا تقليد شيعي، وربما تقليد مالكي أيضاً، لكن لا يوجد مَنْ هو على المذهب المالكي بالعراق، لذا كانت وصية الشيخ ذات مغزى، قد تخجل الطائفيين من المذهبين، وكما هو معروف أن أصدق ما يقال هو قُبيل الموت، وما تحويه الوصايا. كذلك لم ينس الشيخ في وصيته الجزء الثالث من معجم اللغة العامية البغدادية، وهو الألفاظ البذيئة، فهو جزء من لغة وتاريخ بغداد الاجتماعي.

ومع كل حسنات شيخنا الجليل، الذي تجاوز التسعين وهو يكتب ويخطب ويفتي ويقضي، يحسب عليه، بعد محاولة استصدار فتوى ضد معروف الرصافي، موقفه السلبي من شاعر بغداد أبي نواس (ت ٢٠٠هـ)، فمع اندلاع الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)، ألبس الشيخ أبا نواس ثوباً مجوسياً، مع أن الشاعر كان مع محمد الأمين (قتل ١٩٨هـ) لا مع الجيش القادم من خراسان، ووالده مرواني من دمشق ووالدته جلبان بصرية. حرض على شطب اسمه من الشارع المعروف على شاطئ دجلة، وعلى رفع تمثاله.

وأورد المعماري محمد مكية، وهو من محبي الشيخ، أن الحنفي طلب منه أن يجعل له بجامع الخلفاء ديواناً خاصاً. ورأى مكية أن مساحة هذا الديوان تأتي على مساحة الجامع التاريخي الصغيرة، وبعد عدم الاستجابة كتب الشيخ تقريراً، ضم إلى ملف مشروع الجامع، جاء فيه: «أن محراب الجامع ليس صحيحاً إلى القبلة، وأن هناك ما يشير إلى خطوط صليبية في البناء»!

ذكرنا هذا ليس من باب الحط من صيت الشيخ البغدادي، والأثر العباسي، بل كي نتجاوز كتابة السيرة بحسنات خالصة، وليس لإنسان مهما بلغ حسنه وخيره أن يخلو من العثرات. وإن ضم إلى قائمة أصدقاء الرئيس، ونال أربعة أوسمة «الاستحقاق العالي»، فإن رفض أي من تلك التقديرات تعد جريمة كبرى، وربما للشيخ مآثر عديدة مع صاحب محنة، ولم يُعرف أنه طرب لإيذاء أحد. ودعونا نعذره بما قاله الحسن البصري (ت ١١٠هـ): «لو كان الرجل كلما قال أصاب، وكلما أحسن لأوشك أن يَجنُ من العُجب»(الجاحظ، كتاب الحيوان). ستحيي ببغداد عمامته الضامرة وانفتاح عقله الوقاد، ومساهمته الثرية في كتابة تراث هذه المدينة، ومؤلفاته التي قاربت الأربعين كتاباً، ومدرسة بغدادية في التجويد والصوتيات.

هذه المقالة نشرت بعد وفاة الحنفي.. ملحق عراقيون يعيد نشرها باذن من الكاتب

بموت الشيخ جلال الحنفي (ولد سنة ١٩١٥) البحاثة البغدادي المعروف ، خسرت بغداد " ذاكرتها " الشفاهية ، وحافظ معجم لغتها الدارجة المحكية والمولع بتراثها الغنائي والبنائي ؛ والصفة الاخيرة هي التي جمعتنا معا ، هو العارف بمحلات بغداد وسكانها و " ابنيتها " الشعبية ، وانا التائق الى معرفة المزيد من ذلك المنجز الرفيع والابداعي ، والمنسي مع الاسف ، الذي ندعوه " العمارة العراقية الحديثة " ..

تعرفت على الشيخ جلال الحنفي ،الذي يحب ان يكنى " بالبغدادي " في اوائل الثمانينيات باحد اللقاءات الثقافية في بغداد ، ووجدته كما كنت سابقا اسمع عنه ملماً بتضاريس خريطة المحلات البغدادية ، والعارف بجغرافيتها وحدودها ، والحافظ لتسمياتها وكيفية نطقها الصحيح ؛ ويعرف العراقيون و" البغادة " خصوصا ان اسماء محلات مدينة العريقة هي خليط غريب عجيب من لهجات ولغات وثقافات واديان متنوعة كتنوع سكان هذه المدينة " الكوزموبوليتانية " بامتياز . فاسماء محلات مثل تبة الكرد والقرغول وعزات طويلات والبارودية وقره شعبان وباب الاغا والتورات والجوبة والقاطرخانه وتحت التكية والطاطران وباب الشيخ وصبابيغ الال والكولات وعقد النصارى وسوق حنون والسيف وخضر الياس وسوق العجيمي وست نفيسة وقنبر علي وابو سيفين وغيرها من المحلات التى ترد دائما على لسان الحنفي بتهجئتها السليمة ونطقها الصحيح ، تبدو الان وكأنها تسميات غريبة لغويا على مسامع البغداديين المحدثين ، انها تسميات يجهلها الكثيرون ومنسية من قبل الكثيرين ، ساهم في نسيانها حملات التغيير العاتية المتعمدة التى شنها النظام الصدامي التوتاليتاري المقبور .

كنت ازوره في مقر اقامته " بجامع الخلفاء " ، لم يكن هذا مسكنه ، مسكنه يقع في مكان آخر بعيد ، لكنه جعل من احدى الغرف العلوية في المسجد مقرا له ولمكتبته ، وبعد لقاءات عديدة معه اقتنعت ، صدقا ، بانه غير مطلع تماما على موضوعي واهتماماتي . ولم افاجأ في ذلك ؛ " فمنجز العمارة العراقية الحديثة " محيرّ ومشوب بالضبابية : محيرّ لان واقعة ظهوره تزامنت مع " الاحتلال " ابان سنوات الحرب الاولى ، ونظر الكثيرون لطلائع المباني الحداثية التى نفذها المعماريون / الضباط اولا ، والمعماريون موظفو الدولة العراقية لاحقاً، نظروا اليها بنوع من الريبة وعدم التقبل بسبب اهدافها الوظيفية التى لم يسمعوا عنها سابقا ، الوظائف التى تزامن ظهورها مع تأسيس الدولة الفتية ، ومشوب بالضبابية بسبب اساليب تكوينات تلك المباني الجديدة التى اعتبروها بديلا او تهشيما للتقاليد البنائية الموروثة التى يعرفونها ويمارسونها . واعتقد ان حضورهذين الموجبين لوحدهما كانا كافيين ليعملا على " تغريب " المنتج المعماري الحداثي بالعراق وفقدان الاهتمام به من قبل غالبية المهتمين بالشأن الثقافي ، الامر الذي ساهم بشكل وبآخر على عدم شيوع " ثقافة العمارة " وحصرها في نطاق نخبوي ضيق ومنفصل عن حراك ابداعات المنجز الثقافي العراقي بتجلياته المتنوعة والمعروفة لدى الكثيرين ... لكن كل هذا ليس مقامه الان ، فالمقام مكرس لكلمات في وداع الشيخ البغدادي المعروف !

" حين يرحل احدنا ، فجأة ، في مغيبه الاخير ، تهبط في مثل الفجاءة ايضا ، ستارة عجيبة ، تفصل الشخص عن النص ، وتميل بالميزان لمصلحة النص ، كأن غياب الشاعر مستلزم لحضور النص ، نصه هو .. " ؛ كتب يوما ما " سعدي يوسف " عن رحيل شاعر الى مثواه الابدي !

اعترف باني غير ملم على وجه الدقة في الكتابة عن مؤلفات الشيخ الحنفي واهتماماته الشعرية والموسيقية ، وعن معارفة الغزيرة في التجويد والعروض ، رغم هبوط تلك " الستارة العجيبة " الفجائية اياها ؛ لكني وددت بمناسبة وداع الشيخ الحنفي ان اتذكر تلك الالتماعات الذكية التى وجدتها عند الشيخ الجليل في زياراتي المتباعدة له في محلة " سوق الغزل " عند جامع الخلفاء . فالرجل وان بدا وقورا بحكم السن والوظيفة : كامام لجامع ، كان لا يفتأ يجادل جيرانه سكنة وبائعي الطيور في محلة سوق الغزل الواقع " جامعه " في ارضها ، هم المتسمون بالمبالغة حد الكذب الصريح ، ، يجادلهم ويحادثهم في لغتهم البغدادية ذات الوقع الموسيقي الخاص . وكنت اصغي باعجاب وهو يستخدم ضروب التورية والتشديد والمبالغة والتشبيه لمفردات لم اسمع بها سابقا ، بيد انها مفهومة ومقبولة من " الاخر " الذي يتحادث معه ، و" الاخر" هنا – " المطيرّجية " مربو واصحاب وعشاق وبائعو الطيور والحيوانات الاليفة .. وغير الاليفة . وعندما كنت ابدي اعجابي بطريقة كلامه ، كان يرد عليّ ضاحكا بان في جعبته الكثير منها ، وان " اشقياء " محلة " سوق الغزل " والمحلات المجاورة لها ، المشهورين في سلاطة السان يصغون ويحتاجون اليه في تعزيز " معجمهم " المفرداتي في اللهجة البغدادية الاصيلة .

في قيظ بغداد " الظهري " ، عندما ازوره في الجامع ، اعرف مسبقا كما انبأني بانه لا ينام القيلولة – " نومة " مابعد الظهر الاثيرة لدى العراقيين والبغادة على وجه الخصوص ، كنت اضغط بضغطات محددة وخاصة زرّ الجرس الكهربائي الواقع في مكان " خفي " ، بعيدا عن انظار اطفال المحلة ، الذين وجدوا في مشاكسة الشيخ النحيف تسلية لهم ! . واذ يشرع في فتح الباب الحديدي لي ، اسمعه يلعن طيور سوق الغزل الوقحة التى تصب قاذورتها من اعلى على ارضية الممر الطابوقي الجميل ، وفي كل مرة يسألني السؤال اياه " كونك معمارا ما السبيل لجعل هذه الطيور تكف عن ان تعشش في زوايا البناء ؟ " ؛ وعندما ابين له الوسائل المتنوعة في كيفية منعها من الوقوف بتلك الاماكن ، وكما هو متبع في المباني التاريخية والحديثة العالمية ، يهز رأسه غير مقتنع بجدوى هذه الحلول التى يراها معقدة ومكلفة ، والاهم " بان الاوقاف لا يمكن ان توافق عليها " ! .

ويتعين عليّ ان اذكر بانه خلافا للكثيرين وانا منهم ، لم يكن من المعجبين ولا حتى من القانعين باسلوب عمارة " جامع الخلفاء " ، الذي اعتبر ، شخصيا ، عمارته من الصفحات الناصعة في سجل العمارة العراقية الحديثة وعمارة المنطقة عموما . كان ينتقد طريقة عمل مكونات المسجد واسلوب تجميعها وتحديد احيازها ، ولاسيما اشارته الى صغر سعة قاعة الصلاة الدائرية المقببة فيه ، لكنه سرعان ما يعترف بان مساحتها تفي بمتطلبات زواره المصلين الذين يأتون خصيصا اليه من اماكن بعيدة لسماع خطبته الاسبوعية ؛ فالمنطقة المحيطة بالجامع كما يقول مبتسماً لا تصغي اليه ، انها تفضل زيارة جامع الخلاني القريب في ايام الجمع ، وفي ايام الآحاد زيارة كنيسة اللاتين الواقعة على الجانب الاخر من الشارع ، كناية عن طبيعة " الفسيفساء " المذهبي المحيط بالجامع ، جامعه هو : جامع الخلفاء ! .

ولئن ظل ممتعضا من عمارة الجامع الحديثة ، رغم محاولاتي المتكررة في تبيان اصالة المخطط وتأشير الجهد التصميمي فيه ، فانه من جانب آخر ، كان لا يتوانى في الاعراب عن اعجابه العميق وحبه وافتخاره في " مئذنة / منارة " الجامع القديمة ، التى يعود انشاؤها الى القرن الثالث عشر ، المنارة التى ادخل المصمم وجودها الفيزياوي ، بمهنية عالية ، في صميم نسيج التكوين المعماري الجديد . في هذه المرة كنا : هو وانا متفقين على اهمية المنارة وجمالياتها ، وهي حقا منارة مثيرة ومدهشة في آن واحد، ان كان ذلك لجهة التاريخ او العمارة . فهي تقف وحدها منفصلة عن كتل الجامع المبنية ، متحدية بارتفاعها العالي الذي يصل الى ٣٥ مترا عوادي الزمن وضروبا من تشويهات قاسية لحقت بها على مرّ العهود ؛ لكنها ظلت معتدة في كتلتها وهيئتها ، حافظة لنا مختلف الطرق الفنية في الزخرفة والتزيين .

ثمة تشابه اجده بين تلك المئذنة الجليلة ومحدثي ، الذي لا يفتأ يتكلم عنها بود وحنيّة وشغف . فكما هي ادت دورها كحاضنة وناقلة لاساليب فنية وجمالية تضرب جذورها عميقا في التاريخ العباسي ، ارى في منجز الحنفي ، رغم جميع الامور الخلافية التى اثيرت حول عطائه وشخصيته ، منجزا مؤهلا للقيام بذات الدور الحافظ والحاضن والناقل لذلك الموروث الفاخر الذي بمقدوره ان يؤسس " لهوية " ، نجد فيها قيمة اسهامنا ومشاركتنا في مآثر اغناء الثقافة الانسانية . ان ما اضطلع به " جلال الحنفي البغدادي " ، جنبا الى جنب ما قام به عزيز الحجية ، وعبد الحميد العلوجي ، وعبد الكريم العلاف وغيرهم كثر من دور في حفظ وعناية الموروث الشعبي البغدادي ، يمثل اسهامة مهمة ونافعة في خلق مناخات اصيلة ، تسهم في ديمومة مسار التواصل الثقافي وعدم قطعه من ناحية ، ومن ناحية اخرى تسعى الى ترسيخ الخصوصية ، التى يمكن استنطاق سماتها سعيا لتكوين خلاصات تؤسس لافاق معرفية جديدة ورحيبة .

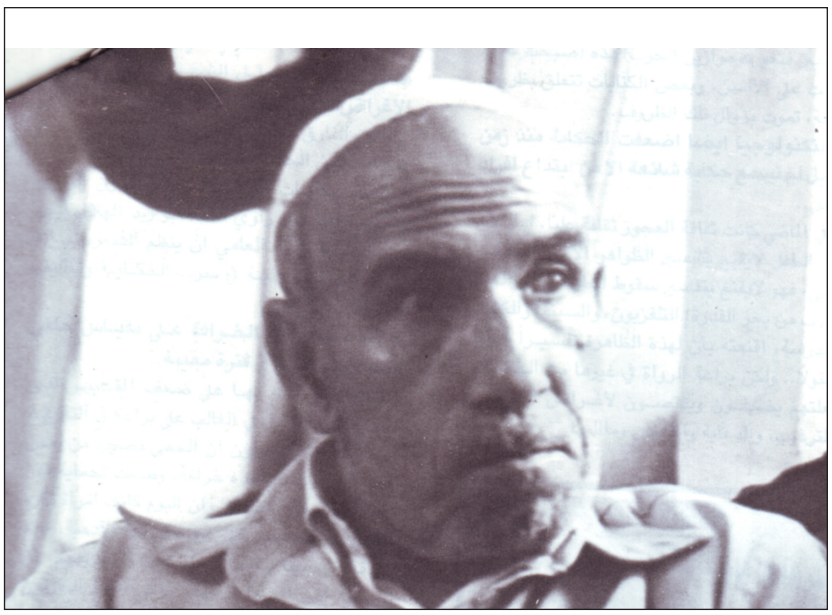

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

نبيل العطية

زيارة إلى الشيخ جلال الحنفي

كان ذلك في منتصف السبعينيات، وربما بعد هذا التاريخ بقليل على ما اذكر، حين اقترح رئيس هيأة تحرير مجلة "رسالة النقل" الصادرة عن وزارة النقل والمواصلات آنذاك، والتي كنت عضواً في هيأة تحريرها ضرورة تطوير هذه المجلة الفصلية والمتخصصة بشؤون النقل مادة، واخراجاً.

وكان "استكتاب" أكابر الكتاب، من ذوي المكانة الرفيعة وتوسيع مساهمتهم فيها اول مفردة لتحقيق تطورها المنشود، وجعلها اكثر حيوية، واوسع تداولاً بين جمهورها، على الرغم من انها لاتباع في المكتبات ويُكتفى ببيعها على منتسبي الوزارة بغية تثقيفهم بقضايا النقل والمواصلات وزيادة معارفهم في هذا الحقل المهم من حقول الاقتصاد الوطني. ويتعين عليَّ ان اقول إن المجلة تعاني من "اعراض" جل الموظفين، وندرة قرائها الحقيقيين، بسبب "جفاف مادتها" وتقليدية موضوعاتها، وضعف اخراجها الفني، بل اكاد اقول انها تفرض فرضاً على الموظفين المساكين، وتلك ضريبة ثقيلة، كما هو واضح!

كان اسم الشيخ الجليل المرحوم جلال الحنفي البغدادي من اوائل ما طرح من اسماء لتحقيق هذا الهدف إذ كان كاتباً موسوعياً، اديباً، لغوياً، خطيباً، شاعراً، معنياً بالتراث البغدادي، عارفاً بتاريخ محلات بغداد القديمة وأصول مسمياتها، هذا الى جانب ما يمتلكه من رصيد علمي في حقول: التجويد، والاصوات، والعروض، والموسيقى والمقام لذلك لقي الاقتراح باختياره ترحيب اعضاء هيأة التحرير كافة، ودون اعتراض.

في صباح يوم نيساني جميل توجهت رفقة عضو هيأة التحرير، زميلي الصحفي والمترجم السيد صالح مزيد الدبوس الى محلة "سوق الغزل" والى "جامع الخلفاء" تحديداً لزيارة الشيخ الحنفي، امام وخطيب هذا الجامع دون موعد سابق معه، فالفيناه في الشارع الفرعي الموازي للجامع من جهة باب المعظم. لم اكن التقيت به شخصياً، غير ان صورته تلفازياً كانت شائعة، بسبب نشاطه الثقافي العام بدا الحنفي لي رجلاً متوسط القامة، مخيفاً، اسمر اللون، يضع عمامة صغيرة على رأسه، و"عيينات" على وجهه.

ولعل من طريف ما اذكر انه كان يتحدث باللغة الصينية مع طفل صغير لا يتجاوز عمره سبع سنوات. انه ابني! كذا قال، واردف: لقد ولد في الصين، وعند عودتي الى العراق لم يكن يعرف شيئاً من العربية، الا انه، بسبب اختلاطه مع اترابه من سكنة هذه المحلة، وولعه بلعب "الدعابل" و"الكعاب" بدأ يفقد الكثير من مفردات اللغة الصينية، وحرصاً مني على عدم نسيانه الصينية، فانا اتحدث معه بها لكي لا ينساها ان تعلم أية لغة ثروة، ولا اريد له ان يُضيع هذه الثروة.

قدمت نفسي، وزميلي اليه، وعندما علم اني شقيق الدكتور جليل العطية –وكان صديقه (هش وبش). كان شقيقي استاجر شقته القريبة من الجامع، وقد حجز في احدى غرفها غرفة خاصة باثاثه ضماناً لحصوله عليها بعد عودته من الصين مُوفداً اليها، استاذاً لمادة العربية في جامعة بكين ادخلنا الشيخ الحنفي الى الجامع عبر بابه الرئيسة وصعدنا سلماً يفضي الى الطابق العلوي ذاهبين مباشرة الى مكتبه البسيط في مظهره، توسطت المكتب منضدة صغيرة عليها آلة كاتبة فيما كانت تجاورها منضدة اكبر وضعت عليها مجموعة من الكتب. بعد استراحة قصيرة، فاتحناه بنية مجلة "رسالة النقل" استكتابه بموضوع خاص بالنقل في مدينة بغداد تحديداً، وذكرياته الشخصية عن وسائل النقل قديماً، وهل لديه مقترحات لتطوير النقل في هذه العاصمة التاريخية العريقة؟ وقد رحب الرجل، ووعد خيراً.

بعد اسبوع زرنا الحنفي، وكان عند وعده، دقيقاً، ملتزماً، فقد انجز مقاله سارداً فيه ذكريات لطيفة عن النقل وتاريخه ببغداد، ووسائطه. وكان حقاً يعكس روح الشيخ، ورصانة اسلوبه، وسعة معرفته بالحياة البغدادية، التي كان النقل يُشكل جانباً مهماً منها كان المقال فولكلوري الطابع، شعبي التوجه، وكان لعربات النقل المجرورة بالاحصنة مما يسمى "الربلات" والازقة الفرعية، والطرق الرئيسة، والمحلات الشعبية، واسمائها وصف بارع يلمسه القارئ.

كُنا –انا وزميلي– دخلنا الى الشيخ مباشرة وصعدنا السلم الى غرفته العلوية، ولاقل الى "مُعتكفه العلمي" كانت الضربات على الالة الكاتبة تصل الى مسامعنا واضحة على الرغم من انها تجد منافسة شديدة من اصوات السيارات وهتافات الباعة في الشارع العام. كان الحنفي مستغرقاً في استنساخ مادة كتابه "العروض" تهذيبه، واعادة تدوينه رقم هذا الكتاب كان الثلاثين في تسلسل انتاجاته، كما اعلمنا بذلك.

والحق انه كتاب مهم وضع فيه خطة لمعالجة القيود الصعبة التي طوقت "اعنق" علم العروض" باقتراحه الغاء جمهرة كبيرة من التعليلات، التي لا قيمة لها في الواقع التطبيقي لاوزان الشعر وتفاعيله، كما قال: وقد صدر سنة ١٩٧٨ عن وزارة الاوقاف. كانت الزيارة هذه المرة اقصر من سابقتها ومما تخللها سؤاله عن "المشروعات الثقافية" لشقيقي المرحوم

كان اسم الشيخ الجليل المرحوم جلال الحنفي البغدادي من اوائل ما طرح من اسماء لتحقيق هذا الهدف إذ كان كاتباً موسوعياً، اديباً، لغوياً، خطيباً، شاعراً، معنياً بالتراث البغدادي، عارفاً بتاريخ محلات بغداد القديمة وأصول مسمياتها هذا الى جانب ما يمتلكه من رصيد علمي

الدكتور خليل ابراهيم العطية الذي كان صديقه ايضاً فاجبته انه يعكف على تأليف كتاب يتناول فيه علم الصوت عند العرب وجهودهم في هذا المضمار عنوانه "في البحث الصوتي عند العرب" ففرح، اذ كان للشيخ الحنفي اهتمامات بالصوت، والالقاء الصوتي وقد كان مديراً واستاذاً محاضراً في المركز الاقرائي الواقع في بناية الجامع نفسه ومما اثاره في سياق هذه الزيارة تأليفه اول معجم عربي صيني ضم آلاف الكلمات، وربت صفحاته على الخمسة آلاف صفحة، الا انه فقده ولم يعثر له على اثر قال ذلك وقد علت وجهه امارات حزن ظاهرة على أثر مهم –لو لم يضع– لكان له صدى واسع في اوساط المعجميين، لانه اول معجم في هذا الضرب من التأليف.

تلك هي لمحات عابرة عن رجل "غير عابر" في حياة بغداد، واهلها، وتراثها، وادبها، ونشاطها العلمي المتميز وسيبقى هذا الشيخ الجليل الموسوعي، بما الف وانتج من الآثار الحسنة حياً في ذاكرة بغداد الابدية ولعل توثيقه للهجة بغداد عبر كتابه: معجم العامية البغدادية باجزائه الثلاثة، وما ألف عن امثالها العامية، وحياتها اليومية، وشمائلها في عشرينيات القرن الماضي يُشكل دليلاً واضحاً على حيوية جانب مهم من رصيده العلمي والثقافي.

بعد صدور العدد المتضمن مقالة الشيخ جلال الحنفي، ارتأيت ان اتوجه بسؤال الى مجموعة من منتسبي وزارة النقل عما استرعى انتباههم فيه فقالوا بما يُشبه الاجماع انه مقال الشيخ جلال الحنفي لانه في غاية الطرافة اسبغ الله عليه وفير رحمته.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

استذكار . .جلال الحنفي البغدادي

عبد الوهاب الحمادي

في مايس ١٩٩١ اقبل الحنفي الى المتحف البغدادي ليستمع الى محاضرة يلقيها الدكتور علي الوردي، بعد الاحداث الدامية التي تلت حرب الخليج الثانية، وانسحاب العراق من الكويت، اختيرت احدى القاعات الصغيرة في الطابق الثاني من المتحف ولكثرة الحاضرين ضاقت تلك القاعة بالجالسين، ما دعا الحنفي الى ان يترك القاعة متذمرا، ويقف مع الوافدين الواقفين في باحة المتحف، وفي الشارع العام بين تمثال الرصافي وجسر الشهداء، اقبل الوردي وما ان شاهد الجمهور الكبير خارج المتحف اعلن بعدم القاء المحاضرة لضيق المقام وعدم تهيئة المكان المناسب ليتسع لهذا الجمهور الكبير المتلهف لما يقوله العالم الجريء الوردي وتلافيا لهذا الموقف المحرج ومطالبة الحنفي بتغيير المكان اعلن امين بغداد بان المحاضرة سوف تكون في القاعة الكبيرة من امانة بغداد في ساحة الخلاني وهيئت سيارات خاصة لنقل الجمهور الى هناك وعلى رأسهم الشيخ جلال الحنفي وقام امين بغداد بنقل الوردي بسيارته الخاصة وكنت مع الوردي باعتباري من معارفه واحد طلابه في كلية الاداب، ازدحمت القاعة بالحاضرين وبدأ الوردي المثير للجدل، يتحدث عما عاناه الشعب العراقي من مأس وآلام في محرقة الحروب المتتالية (ايران والكويت) التي ادت الى الفقر والجوع والتشرد، ومصرع اكثر من مليون عراقي وهجرة اربعة ملايين عراقي الى المنافي وخارج العراق، فضلا عن عشرات الالاف من المعوقين والجرحى والارامل والايتام. وفجأة قام احد كبار المسؤولين (حينذاك) بوضع مسجل امام الوردي! فسأله الوردي ما هذا؟ اجاب بان رئيس النظام يريد ان يسمع ما يقال، وهنا بدأ الوردي يهاجم السلطة بشدة، قائلا: ان هذه الحروب وغزو الكويت ونهبه هي من صفات البداوة المتغلغلة في نفوس الحكام والمجتمع في العراق والغزو من صفات البدوي النهاب الوهاب، وهؤلاء من اسلاف القبائل البدوية التي اتت من خارج العراق وسكنت بغداد والعراق بعد ان اجتاحت بغداد الاوبئة والفيضانات ومرض الطاعون العام ١٨٣٠ وقضى على ثلثي السكان. كان الوردي كعادته، مثيرا للجدل والاثارة فقام احد المسؤولين الكبار بالرد عليه وتهديده علنا امام الجمهور وكان الوردي شجاعا رابط الجأش وكاد يحدث ما لم تحمده عقباه، وهنا قام الشيخ جلال الحنفي وتكلم بصوت هادئ فيه بين النقد والمديح وكان كلام الحنفي بردا وسلاما وانتهت المحاضرة الصاخبة بهدوء وسلام مودعين العلماء الكبار الحنفي والوردي، وكاد الوردي يعتقل بعد تلك المحاضرة المنددة بالحكام الظلمة الا ان السلطة الحاكمة خافت من اثارة الرأي العام وبدأت بمحاربة الوردي سرا وعلانية ومنذ اوائل التسعينيات بدأت ابحث واتقصى ما يدور بين الوردي والحنفي من مناقشات ومساجلات ففي مجلس محمد جواد الغبان الادبي يشتد النقاش وبينهما ما صنع الحداد، الحنفي معجب بمنطق ارسطو اما الوردي فيقول ان هذا ولى زمانه ولا يصلح للعصر الحديث الحنفي يقول: ان علم (الباراسيكولوجي) (خزعبلات وخرافات) ويعارضه الوردي، حيث يسميه (الخارقية) ويعتبر الوردي الرائد في هذا العلم، في العالم العربي بكتابه (خوارق اللاشعور) وهكذا تستمر النقاشات والمجادلات بين الوردي والحنفي وتحسم من صاحب المجلس بجلبه مصدرا او كتابا يؤيد ويخالف رأي احد طرفي الخلاف وفي اليوم التالي تظهر هذه المناقشات على صفحات الصحف المحلية ليتمتع القراء باراء وافكار العلماء والادباء الكبار.في ٤ اب ٢٠٠٤ حضر الحنفي الى مجلس الشعرباف الثقافي، ليستمع الى كاتب السطور بمحاضرة عن الوردي بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاته ومما جاء في المحاضرة ان الحنفي استراح من الجدل والمناقشة بعد رحيل الوردي. وبعد انتهاء المحاضرة تكلم الحنفي قائلا (لا والله اني لم افرح لوفاة الوردي وانما هو كان صديقي وجمعتني به المئات من اللقاءات والمجالس والمناسبات وان الخلاف لا يفسد للود قضية). من مذكرات الحنفي يقول: في العام ١٩٧٤ دب الخوف والهلع بين اهالي بغداد لظهور (ظاهرة ابو طبر) وهو مجرم يقوم بالسطو على البيوت وقتل الناس الامنين بالالة الحادة (الطبر)، ولهذا سمي هذا المجرم ابو طبر واخذت الصحف حينذاك تنشر عن جرائمه المريعة في الذبح والقتل والسرقة، ما ادى الى ان اكثر العوائل البغدادية تتجمع في دار واحدة لكي تأمن من الذبح والقتل والسرقة، بعد فترة اعلن عن اعتقال هذا المجرم وظهر على شاشة التلفزيون ليروي جرائمه على مسمع المشاهدين يقول الحنفي: قام الدكتور علي الوردي بتقديم طلب الى السلطات المسؤولة بالسماح له بمقابلة هذا المجرم ودراسته من الناحية النفسية والاجتماعية، ومعرفة الدافع لهذه الجرائم الفظيعة لكي يتحاشاه المجتمع العراقي مستقبلا يقول الحنفي: ان السلطات لم توافق على مقابلة الوردي (لابو طبر) ولو تسنى للوردي دراسته لقدم لنا بحثا مفيدا لتحاشي الجريمة والمجرمين ويقول بعض الخبراء ان (ابو طبر) شخصية وهمية خلقتها السلطة الحاكمة رحم الله الشيخ الحنفي ولا يسعني في رثائه الا ان نردد ما قاله الشاعر الرحماني:-

ولان رحلت فكلنا في رحلة
ونهاية الترحال حتما اتية
واه لهذا العمر فهو قصيدة
مكسورة في وزنها والقافية

هذه المادة نشرت بعد

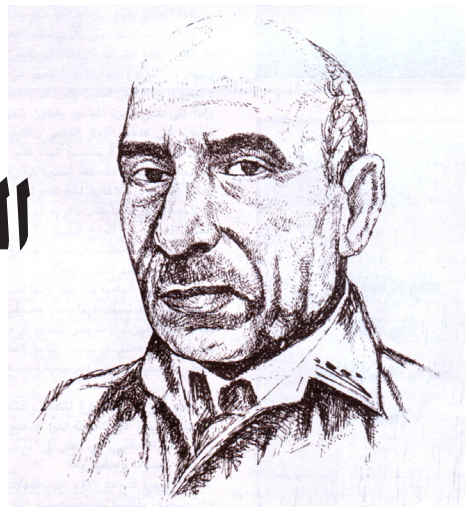

الشيخ جلال الحنفي والمقام العراقي

يحيى ادريس

المقام العراقي عنده خط احمر للمتطفلين عليه او الذين يتخذون منه مجالا للرزق والتكسب والتقرب من جاه السلطة.. وهو أي المقام تحفة فنية لا تأتيها الا الرموز الكبيرة مثل رشيد القندرجي ومحمد القبانجي وحسن خيوكة وعباس كمبير وطاهر توفيق وعلي مردان واسماعيل الفحام.. والحنفي رحمه الله.. يراقب القراء من خلال ضبطهم النغم لا النص .. وكان يفضل المطرب الذي يحترم القطع والاوصال ويرفض بقسوة من يحاول الاختصار او التملص السريع من بنية الترتيب النغمي للمقام الواحد كما فعل ناظم الغزالي والاجيال المتأثرة به.. او الاجيال التي تأثرت بيوسف عمر وامتطت حناجرها المقام للارتزاق.. وكان الحنفي ايضا لا يكترث بغناء البستة ويعدها من طبيعة غناء النسوة لما فيها من تمتع وتغنج وتخنث ، همه الاول والاخير اداء المقام كما تسلمناه من القدامى..

وفي بحر الثلاثينيات اصدر جريدة (الفتح) وجعلها منبراً نقدياً لاذعاً ولادغاً لاجتهادات مطربي المقام العراقي وخاصة شيخ المقامات العراقية محمد القبانجي الذي اجتهد في ابتكار مقامات جديدة ولحن عشرات البستات وغنى المقام واقفا واهتم بالنص والنغم على حد سواء لنقل المقام من النخبة القليلة الى عموم الشعب العراقي.

كان الحنفي على نقيض من هذا التصرف وكتب نقودا مؤذية عن القبانجي ودعاه الى العودة الى التقليدية المقامية الا ان القبانجي مضى في طريقه بشجاعة الفارس الذي رسم طريقه وهدفه فاستسلم الحنفي على مضض لمنهج القبانجي بعد ان اجتاحت الساحة المقامية اصوات هشة في سنوات الخمسينيات والستينيات والسعبينيات. لقد كان للحنفي مواقف مماثلة مع قراء الاداءات الدينية الذين لا يجيدون معرفة اسرار الانغام المقامية.. ولم ينج احد من لسانه ونقداته المرة.. خاصة الشباب منهم.. وحاولت عدة مرات ان اشجعه لتمييز مطرب مقام او مؤدي قرآن كريم من الشباب فامتنع قائلا: "المقام تراث الوطن وقيمته لا تقل شأنا عن قيمة اي صرح تاريخي وتراثي.. والصبيان لا يفهمون هذه القيمة وهم تجار فاشلون".

كان صارما في ارائه وجريئا في قولها.. لذلك تحاشى الكثيرون من اهل المقام الاقتراب منه او الاستئناس برأيه.. وهو موسوعة مقامية تحمل الكثير من العلم والثقافة والنقد.. مرة سألت القبانجي عن رأيه بجلال الحنفي فقال"قلعة العلم.. وبصيرة مقامية لا يطولها احد".

كان هذا التعبير الافصح لمكانة الحنفي في شؤون المقام العراقي.

في عام ١٩٨٨ تأسس بيت المقام العراقي الذي لم شمل اهل المقام العراقي تحت خيمة رسمية وأول مرة في تاريخ العراق المعاصر.

وشكلت لجنة استشارية لنشاط البيت ضمت نخبة من المثقفين في حقول المقام العراقي هم"الشيخ جلال الحنفي، د.عبدالله المشهداني، عبدالوهاب الشيخلي، حسين قدوري، روحي خماش، عباس جميل، غانم حداد، سالم حسين، د.نوري حمودي القيسي".

واشرفت هذه الهيئة على المنابر الثقافية للمقام العراقي وعلى المهرجانات والمسابقات المقامية في قاعة الرباط وقاعة الشعب والمتحف البغدادي وحققت انجازات رائعة.. لكن آراء جلال الحنفي في المقام العراقي ظلت على عهدها ورفضها لاي مجتهد وكان يدعو الى تسييد النغم المقامي في الحناجر الشبابية وينتقد اسلوب عرض المقامات الفرعية في التلفزيون والاذاعة. وطالبنا بتقديم المقامات الطويلة والمعقدة مثل "الابراهيمي، المنصوري، الرست، الحجاز ديوان".

في اعمدته الصحفية العديدة نال المقام العراقي نصيبا وافرا منها على شكل مسامير او نقدات تلطيفية فالمقام عنده هاجس اصيل يقلقه ليلا ونهارا ويحضر مؤتمراته ويدلو بدلوه.. رحم الله الشيخ جلال الحنفي الرمز البغدادي والمقامي فضلا عن ريادته في الشؤون الدينية كعالم جليل.. ومثقف فاضل.. ومؤلفاته الكثيرة ومقالاته التي ملأت الصحف منذ الثلاثينيات ولغاية السنوات المتأخرة وشغلت الناس.. لجرأتها وبراعة كاتبها.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

العلامة جلال الحنفي.. الشيخ المتحرر كان من مترددي نادي الأب انستاس الكرملي

هادي العلوي: جلال الحنفي مثقف في العمق متعدد الكفاءات من فقه وفلسفة وثقافة حديثة

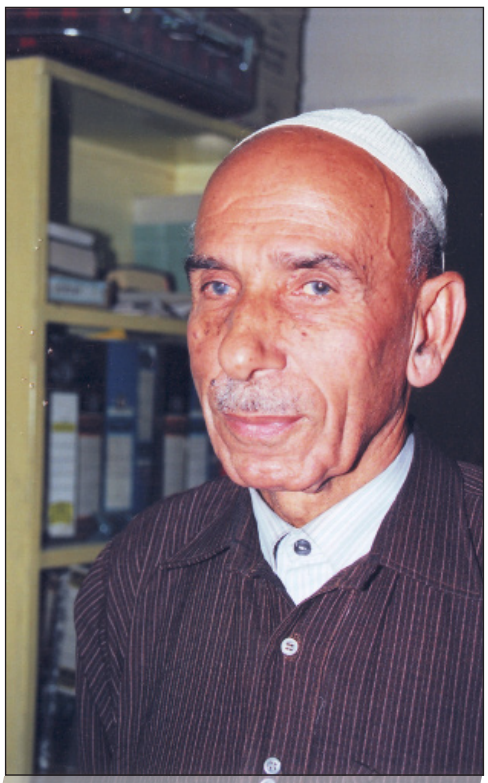

توما شماني

عرفت (الشيخ جلال الحنفي) وجها لوجه خلال زياراتي له مصطحبا معي (طارق الخالصي) بل انا اصطحبه في سيارتي. كان (طارق الخالصي) سيارة سز. كنت اذهب اليه ايام الجمع الى بيته في الكرخ ثم نذهب معا الى مجالس اللقائات الادبية وكثيرا ما ناخذ معنا (الدكتور علي الوردي) في بعض الاحيان نذهب الى الجامع الذي يتولاه (الشيخ جلال الحنفي).

ولد (الشيخ جلال الحنفي) في بغداد عام ١٩١٢ درس في مدارسها لازم (الشيخ امجد الزهاوي) والعديد من الأئمة، سافر الى القاهرة حيث قضى عاماً واحداً في جامع الازهر بعدها عاد آيبا الى بغداد عام ١٩٤٠. أسبغ عليه لقب الشيخ العلامة الموسوعي (الاب انستاس ماري الكرملي) عام ١٩٣٣ حينما كان يقوم بعمله اليومي المعتاد كإمام لجامع الخلفاء، شكل (الشيخ جلال الحنفي) البغدادي ظاهرة فريدة في سيرته ومواهبه وطبيعته الشعبية حتى في شطحاته ونوادره، عد خلال تلك الرحلة الطويلة مع العمر ومناخات العراق ومعاصرته لحقبه أن يكون شاهدا على القرن العشرين، ليدون الكثير من خواطر ومعلومات وقراءات وبحوث موسوعية تركت بصماتها على الحقبة والوعي العراقي. (الشيخ جلال الحنفي) من أقدم ما مكث من مساجد بغداد العباسية. تولى تدريس اللغة العربية في معهد اللغات الأجنبية في بكين وشنغهاي في الصين في ١٩٦٦، تزوج سيدة صينية كانت أم لذريته. كانت له رؤية للحياة اكتشفها منذ طفولته يلخصها ببيت لـ (ابو نواس) يذكر فيه (ما ارتد طرف امرئ بلذته إلا وشيء يموت من جسده) نقل عن (الشيخ جلال الحنفي) الباحث (حميد المطبعي) قوله (الحياة مدرسة تدرس الاحياء وقائع الحياة باسلوب النظرية الصينية "تعلم السباحة في السباحة"). ذكره الموسوعي (هادي العلوي) الذي ربطته صداقة وذكريات معه بان (الشيخ جلال الحنفي) مثقف علماني في العمق متعدد الكفاءات من فقه وادب و فلسفة و ثقافة حديثة وهو من عشاق بغداد و الهائمين بها).

اضافة الى مساهمات (الشيخ جلال الحنفي) العامة فأنه تميز بغزارة منتجات التدويني منها كتبه (معاني القران) و (مقدمات الجنوح في الاحداث) و (بقايا ديوان التشريع الاسلامي تاريخه وفلسفته) و (الصناعات والحرف البغدادية) و (الامثال البغدادية) و (معجم اللغة العامية) و (معجم اللغة العامية الكويتية والتونسية واليمنية) و (مبغى البصرة) و (العروض) و (المقام العراقي) و (الرصافي في اوجه وحضيضه)، وغيرها، ما ميز تلك الأسفار تنوعها، هناك كتباً في التاريخ واخرى في الموروث الشعبي وفي الشعر وفي الفقه. من مناقب (الشيخ جلال الحنفي) الفنية أنه درس علم التجويد في معهد الفنون الموسيقية في بغداد، اجرى تصحيحات كثيرة في علم العروض لينتشر في مؤلف. أوجد نماذج للعروض فالرجز مثلا الـ ٨ بحور جعلها الحنفي ٥٠ بحرا استنبط أوزانا جديدة وغيرها من العلوم مما يؤكد وسع أفقه الموسوعي وذوقه الفني المهذب (الشيخ جلال الحنفي) بعد وفاته ترك مخطوطات جليلة تنتظر من ينشرها منها الاجزاء الباقية منها (معجم اللغة العامية البغدادية في ٧ اجزاء طبع منها ٣ أجزاء في حياته بقيت الأجزاء الأخرى لم يطبع

كانت له رؤية للحياة اكتشفها منذ طفولته يلخصها ببيت لـ (ابو نواس) يذكر فيه (ما ارتد طرف امرئ بلذته إلا وشيء يموت من جسده) نقل عن (الشيخ جلال الحنفي) الباحث (حميد المطبعي) قوله (الحياة مدرسة تدرس الاحياء وقائع الحياة باسلوب النظرية الصينية "تعلم السباحة في السباحة").

منها كتابه (الكنايات البغدادية البذيئة) الذي أرسله في حياته إلى أحد دور النشر في المانيا ولايزال مصيره مجهولا.

(الشيخ جلال الحنفي) لم يفارق جامع الخلاني فترة طويلة حيث كان يذهب اليه مشياً على الاقدام يومياً الى يوم وفاته أفي له قبل وفاته بأشهر أمسية وتكريم اقامها التجمع الثقافي في شارع المتنبي سر (الشيخ جلال الحنفي) بحضورها قدم لنا محاضرة عن الحضارة الاسلامية دهش الحاضرين لموسوعتة وذاكرته المتوقدة، حدث هذا التجمع الثقافي في شارع المتنبي اهدي له كتاب (الشخصية المحمدية لمعروف الرصافي) الكتاب الذي اثار مشكلة في بداية اربعينيات القرن العشرين طبع عام ٢٠٠٢ هذا الكتاب ذكرى لـ (الشيخ جلال الحنفي) بعد انتهاء الامسية سلمت له الهدية الموجودة في الظرف قال (الشيخ جلال الحنفي) انها (طبعه الملاعين) قال أنا كنت من محاربي هذا الكتاب في زمنه.

عام ٢٠٠٦ فقدت الثقافة العراقية إحد أعلامها المخضرمين المعمرين بعد وفاة (الشيخ جلال الحنفي) زار ت عائلته قبره بمناسبة اربعينيته

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

شجاعة الشيخ الحنفي

باسم عبد الحميد حمودي

فوجدت من عبث بقبره كتب عليه (لا امام الا الشافعي) وهكذا حال الثقافة العراقية ورموزها، فلا تكريم لأحياء مبدعين ولا حرمة وراحة لدفين. سجل (الشيخ جلال الحنفي) تعليقات منها ان الشعوب العربية تنطق الرز لكن العراقيين وحدهم من دون الشعوب العربية كلها ينطقون التمن قال إنها صينية (المرحوم عبد الكريم قاسم) أرسل (الشيخ جلال الحنفي) ليكون أول أستاذ للغة العربية في جامعة صينية بعد ثورة ١٤ تموز. اثرها غضبت عليه السلطة بعد ١٩٦٣ استقدمته قبل أن يكمل مشروعه المهم أول قاموس عربي صيني عربي. عندما استشارته الصين في أن يرسل بديلاً عنه بعد نحو عشرين سنة رشحوا (هادي العلوي) مكانه بعدئذ ردّ الصينيون المكافأة إلى العراقيين بأحسن منها فقالوا (كل العالم عميانٌ إلا العراقيين فهم عور) هذا المثل لم يكن حديثاً وإنما يعود إلى أربعة آلاف عام حين كانت المنطقة تعرف بـ (بحر النجف) كانت خليجا كبيرا ترتاده السفن الصينية الخشبية ترسو فيه وتنزل بضائعها لتتوزع في المنطقة كلها. كانت العلاقات الصينية العربية قد توطدت في العصر العباسي، قيل إن السجل الإمبراطوري الصيني يذكر بالتفصيل طلب أحد أباطرة الصين الذي عزل في مؤامرة داخلية نجدة من (الخليفة المنصور) لإعادة ملكه، أختار المنصور ثلاثة آلاف فارس جيد التدريب أرسلهم، طلب من عماله تجهيزهم بخيول قوية في كل مرحلة من مراحل طريق الحرير الذي يمر من خلال إيران وأفغانستان وباكستان وشمال الهند ليصل الصين. بالفعل مكنتهم تلك الجياد من الجري المتواصل طيلة النهار، حتى أوصلتهم الصين بوقت قياسي استطاع الإمبراطور بهم إرجاع عرشه، خيرهم بين البقاء في الصين أو الرجوع فختار معظمهم البقاء. يبدو أن (ماركو بولو) التقى بعض أحفادهم في الصين وأشار إليهم

(الشيخ جلال الحنفي) أخر من رحل إلى الحياة الآخرة من مستواه الرفيع لقب بـ (ذاكرة بغداد)، كان (الشيخ جلال الحنفي) موسوعياً (الجاحظ)، كان أفضل الخبراء في عهده بالمقام العراقي، والتجويد والعروض واللغة العربية والأمثال العربية كان (الشيخ جلال الحنفي) جريئاً في مواقفه اتخذ موقفاً فريداً وهو في الثمانينيات من عمره. كان خطيب الجمعة في أقدم جامع من جوامع بغداد جامع الخلفاء منع (الشيخ جلال الحنفي) استخدام مكبرات الصوت في الجامع قائلاً (المكبرات تزعج غير المسلمين والأطفال والمرضى والعجز) ليس لها داع فكل الناس يمتلكون ساعات ويعرفون أوقات الصلاة من الراديو والتلفزيون. أفتى أجرأ فتوى في التاريخ المعاصر دعا الى التبرع بتكاليف الحج للفقراء أيام الحصار معللاً ذلك بأن ملأ أفواه الجياع أفضل أنواع العبادة. لو لم أضطر للهرب من العراق لتفرغت في الكتابة عنه وملازمته. عسى أن ترقد روح هذا العبقري الزاهد المتقشف في سلام دائم.

الشيخ العلامة جلال الدين بن محيي الدين الحنفي البغدادي، قمة في المعرفة والأدب والحكمة والشجاعة في إبداء الرأي واستخلاص الحقيقة التي يذكرها دون تزويق ومقدمة الشيخ حنفي لدراسة صديقه الراحل عبد الحميد العلوجي عن الزوج المربوط الصادر عام ١٩٦٤ خير دليل على تلك القدرة على التحليل فهو يدين سحر الربط ولا يؤمن به ولكنه يجد أن من الضروري البحث فيه للوصول إلى الحقيقة الشعبية في مسألة الربط وذلك لقلة خبرة العريس وخوفه والإيحاءات السلبية ليلة البناء ليصل إلى صيغ الربط والحل فيدين ذلك، والبحث عن الحقيقة الشعبية في المعارف العامة لدى الحنفي أدخله معترك العادات والتقاليد والأطعمة والأزياء والأمثال والموسيقى إضافة للدراسات الأدبية والاجتماعية والدراسات القرآنية والدراسات في علوم التجويد والإملاء واللغة وفي الزكاة والإحسان وفي علم العروض وفي معاني القرآن الكريم وله في كل ذلك كتب ودراسات بلغت أكثر من أربعين كتاباً ورسالة بين مطبوع ومخطوط.

من كتب الحنفي التي تعد مراجع في البحث إذا أغفلها الباحث فكأنه لم يقل شيئاً كتابه الخالد (المعنون البغداديون والمقام العراقي) الصادر عام ١٩٦٤ عن وزارة الإرشاد العراقية وقد وضع بعد المقدمة الواسعة في المقام معجماً في أكثر من ثلثمائة مغن عراقي فيما كانت دراسته الصادرة عام ١٩٨٩ بعنوان (مقدمة في الموسيقى العربية) استكمالاً تفصيلياً للبحث في الأغاني العراقية وسلالمها الموسيقية وأنواعها التاريخية والمعاصرة، ويأتي بحثه في اللغة العامية البغدادية الذي صدر بثلاثة أجزاء حتى الآن بدأها بالجزء الأول عام ١٩٦٣ بعنوان (معجم اللغة العامية البغدادية)، يأتي دليلاً لا على تتبع الحنفي للكلمة العامية المفردة بل لارتباطها باللغات الأخرى أخذاً وعطاء وتطوراً ما يدل على متابعة دقيقة للتطور الخاص بالكلمة وقد وجد الحنفي الجليل القدرة على أن يكتب معجماً للألفاظ الكويتية أصدره عام ١٩٦٤ وغدا مرجعاً للباحثين الكويتيين وسواهم، وكان من أسباب تأليف هذا المعجم، رحيل الحنفي لفترة عام ١٩٥٩ إلى الكويت بعد فصله من الوظيفة من قبل رئيس ديوان الأوقاف آنذاك الشيخ محمد بهجت الأثري وعدم قبوله العودة إلى الوظيفة كخطيب وإمام لمسجد من مساجد بغداد برغم صدور مرسوم جمهوري بذلك بل فضل العمل لفترة خبيراً في وزارة الإرشاد وكان ذلك من مصلحة الأدب والتراث الشعبي حيث كتب في الصناعات والحرف البغدادية كتاباً أصدره عام ١٩٦٦ ونشر (المغنون البغداديون) قبل هذا وانصرف لاستكمال بحوثه في العروض وفي معجم الألفاظ وتشجيعه إصدار مجلة (التراث الشعبي) التي صدر عددها الأول في أيلول ١٩٦٣ كمجلة شهرية رأس تحريرها الأستاذ الدكتور إبراهيم الداقوقي وكان سكرتير تحريرها المرحوم الباحث الأستاذ لطفي الخوري وكان الحنفي والعلوجي وحسين علي محفوظ وسواهم من رجال الفولكلور العراقي في مقدمة المسهمين في هذا المشروع الثقافي الحيوي.

وللحنفي وجوه أخرى غير وجه الفولكلور منها وجه الشعر ووجه البحث الديني ووجه الدراسة الاجتماعية في الزواج والصحة وجنوح الأحداث وله وجه آخر هو وجه المشاكسة حيث خاض نقاشاً مع الإمام الخالصي طبع في كراس عام ١٩٥٣ ودخل مع حياة الرصافي مدخلاً نقدياً في كتابه الرصافي في أوجه وحضيضه الذي أصدره كجزء أول عام ١٩٦٢ وللحنفي وجه آخر هو وجه التحقيق حيث حقق كتاب الدر النقي في علم الموسيقى لأحمد بن عبد الرحمن الشهير بالمسلم الموصلي عام ١٩٦٤، وله كتب ودراسات لم تطبع بعد وقد لا يطبع بعضها يوماً لصراحتها وبعثرة أوراقها.

كل ما في جلال الحنفي مضيء ويستحق التحليل والإشادة فقد كان الرجل أكبر من باحث واحد إذ هو مجموعة باحثين تبدت في أهاب رجل نحيل ذي عقل مستنير ارتدى العمة والصاية والعباءة وتسلح بعصا المعرفة دون أن يتسلح بسواها فأبدع وأعطى طوال سني عمره المديد فترك آثاراً من الطبيعي أن ندعو إلى إكرام ذكرى جلال الحنفي بالدعوة إلى طبعها من جديد فبعضها نادر وكلها بحوث أصيلة تؤسس لمعرفة جديدة.

العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

في الذكرى الرابعة لرحيله

الشيخ جلال الحنفي ذاكرة بغداد التراثية

ما حكاية المعجم الصيني الذي أتلفته مياه البحر؟

علي ناصر الكناني

في يوم من ايام شهر آذار عام ٢٠٠٦ وبالتحديد قبل اربعة أعوام غادرنا إلى بارئه سبحانه واحد من ابرز رواد الفكر والتراث البغدادي الأصيل وعلم من أعلامه المرموقين هو الباحث الفولكلوري الشيخ جلال الحنفي البغدادي عن عمر تجاوز التسعين عاما ، وكان أخر ما كتبه بخطه قبل ساعتين من رحيله الأبدي هي تلك الأبيات القلائل من شعره إذ راح يجود بأنفاسه الأخيرة وهو يرددها مع نفسه فيما راح جسده النحيل المسجى على فراش الموت ينوء بحمل تلك الروح التي بدت وكأنها تحاول جاهدة إن تمسك بالقلم لتخط أخر الكلمات التي شاء القدر أن تكون حواريته الأخيرة ومن يدري لو امتد به العمر قليلا لكانت تلك الأبيات القلائل مشروع قصيدة عصماء لشاعر خبر بحور الشعر والأدب منذ طفولته حيث قال فيها :

فيم لم تغمض هنالك عيني
يوم إن طال الليل أذانا صاح
ما عسى إن تقول عين
إذا ما امتنعت عن منامها للصباح
كنت عند النهار أشكو سقاما
زاد فيه الآلام من ارتياحي

قبل عامين تقريبا كنت والزميل عادل العرداوي في زيارة لعائله صديقنا المشترك الباحث التراثي الرائد الشيخ جلال الحنفي البغدادي (رحمه الله) تلبيه لدعوة كريمة من نجله الزميل (واعية) . ففي دار ألعائله الكريمة استقبلتنا الشيخ "منيبة زينل" عقيلة الشيخ الحنفي مرحبة بنا ومعربة عن سعادتها الغامرة بهذه الزيارة التي حاولنا إن نستذكر معا جوانب أثيرة من سيرة الراحل الجليل ومآثره ألطيبة التي عرف بها وترك صداها وقعا وأثرا في نفوس وقلوب تلامذته وأصدقائه ومحبيه ممن عاصره وعرفوه عن كثب .

ولكن لنتعرف أولا على جوانب وملامح سيرة هذه المر أه الوفية التي استطاعت بدأبها وصبرها من الحفاظ على تلك الثروة الأدبية والتراثية الضخمة من أرشيفه وكتاباته ألمعرفية في مختلف جوانب الحياة عبر مؤلفاته العديدة وكتاباته المتفردة في الصحف والمجلات ألمحلية والعربية وعلى مدى سنوات طوال... عاصر خلالها عددا من الشخصيات الفكرية والمعرفية البارزة من اعلام العراق فيما تتلمذ على يديه الكثير من طلبة العلم والأدب ليس في العراق فحسب بل في دول أخرى كالصين ومصر وسوريا وغيرهما مثل ما تتلمذ هو على يد أساتذة وعباقرة الفكر والمعرفة من رواد العلم والأدب من الأعلام الكبار

تقول ألشيخه (منيبة زينل) وهي تحثنا عن نشأتها وتعلمها وعن بدايات لقائها الأول مع الشيخ الحنفي الذي صار زوجا لها وأبا لا بنائها الخمسة لبيد و عقيل وواعية وداعية وعروض

من كركوك إلى الصين !!

ولدت في اربيل عام ١٩٤٩ عندما كان والدي في أحدى الوحدات ألعسكرية العاملة هناك .

ثم انتقلنا بعدها للعيش والسكن في مدينة كركوك التي أمضيت فيها معظم سنوات عمري الأولى مع والدي الذي عمل صفارا في سوق الصفا فير الموجود في كركوك . وأكملت دراستي الابتدائية فيها وقبل ان أكمل دراستي المتوسطة في الستينيات اضطررت لترك الدراسة لأسباب وظروف خاصة اعتذر عن ذكرها ولازمت المنزل حينها حتى بلغت التاسعة عشرة من العمر تقريبا .

إما عن بداية تعرفي بالشيخ جلال فكانت عن طريق زوج عمتي الذي كان يعمل صحفيا أيضا والذي هو في نفس الوقت خال الشيخ ويدعى عباس الزبيدي كان يومها الشيخ جلال مقيما في الصين بحكم عمله هناك كمدرس للغة العربية وعند مجيئه إلى سوريا عام ١٩٦٨ حين هزه مشهد لامرأة تقدم الشاي لزوجها كانا يجلسان في ألشرفة المطلة على الفندق الذي كان يقطن فيه فقال له زوج عمتي : لماذا لا تتزوج وتستقر يا شيخ جلال فراقته له الفكرة وطلب منه ان يبحث له عن زوجه مناسبة فبعث له صورتي لأنه لم يرني سابقا فوافق على الزواج وأنا أيضا لم أعارض بعد ان اخبروني بأنه رجل مثقف وله مؤلفات وينشر مقالاته في الصحف والمجلات وقد ظل يحتفظ بصورتي لأخر لحظة من حياته حيث عثرنا عليها بعد وفاته في خزانة مكتبه ، وقال لي مرة ممازحا هل تعلمين أن حكاية المرآة والشاي التي حصلت امامي في سوريا هي التي شجعتني على الزواج.

وتواصل الشيخة (أم لبيد) حديثها لتروي لنا حكاية زواجها من الشيخ وسفرها إلى الصين قائلة:

– بعد ان تم الزواج في سوريا ذهبنا إلى الصين حيث يقيم هناك منذ عام ١٩٦٦/ كونه مدرسا للغة العربية في جامعه بكين ويعرفه الكثير من الطلبة الصينيين وبقيت هناك لمده سنة ونصف تقريبا تعلمت خلالها اللغة الصينية التي كنت أجيدها أكثر من الشيخ نفسه وتعرفت على العديد من العوائل الصينية وتعلمت الكثير من الأكلات الصينية التي تعودوا على تناولها . واستطعت ان أتعايش مع هذه الانتقالة التي لم أكن أتوقعها يوما من الأيام وهي إن أتحول من العيش في مدينة كركوك العراقية إلى العاصمة بكين الصينية وهذا ما حصل معي !!

مواقف لا تنسى

. من المواقف التي لا أنساها التي حصلت معي هناك أي في الصين أنني بعد ولادتي لولدي البكر(لبيد) رقدت في المستشفى فترة طويلة من الزمن

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

وكان خلالها الشيخ يعودني كل يوم وصادف ان تأخر عني لثلاثة أيام فقلقت كثيرا ثم اخبرني بعدها أن احد أعضاء الوفد العراقي الذي زار الصين حينها قد مرض ورقد في المستشفى مما اضطره إلى البقاء إلى جانبه حتى تماثل للشفاء وأوصله إلى المطار ليلتقي فيما بعد بزملائه الذين تخلف عن السفر معهم حيث اخبرني عن سبب اهتمامه بهذا الشخص هو لأنه من بغداد وأنا من محبي وعشاق بغداد فالتمسي لي العذر في تأخري عنك .

وتضيف الشيخة في السبعينيات عدنا إلى بغداد وبعد تأسيس المركز الاقرائي في جامع الخلفاء قررت مواصلة تعليمي ودراستي التي حرمت منها فدخلت المعهد بتشجيع من الشيخ لأكمل دراستي الدينية فيه ولأكون من طالبات الدورة الأولى التي تخرجت فيه ثم بدأت بتدريس الطالبات اللاتي دخلن المعهد فيما بعد عن أصول وقواعد التجويد وقراءة القران الكريم مع عدد أخر من الخريجات الأخريات

. وحول الأسماء التي كان يختارها الشيخ لا بنائه تواصل ألشيخة (آم لبيد) حديثها عن هذا الموضوع قائلة :

– نعم كان الشيخ يختار بنفسه أسماء أبنائنا وكان يحرص على ان تكون الأسماء عربية وتعود إلى شعراء أولها علاقة بالأدب واللغة وأتذكر انه اختار اسمين لابننا البكر (لبيد) أول الأمر وهما أما (بكين) تيمنا بالعاصمة التي ولد فيها أو (امرؤ القيس) وهو شاعر عربي معروف ولكن صادف وجود زوجة احد السفراء اثناء زيارتها لي في المستشفى فطلبت منه إن يغير الاسم لأنه صعب التلفظ وقد كانت هذه رغبتي أيضا فغير الاسم إلى (لبيد) وهو شاعر عربي أيضا . وانك تلاحظ إن بقية الأسماء لأبنائي كما ذكرتهم لك فهي كلها تتناغم مع الشعر واللغة .

وبعد عودتنا إلى بغداد واشتغاله ثانية في وزارة الأوقاف تولى الإشراف على المعهد إلا قرائي ألقراني فيه وكذلك قيامه بالتدريس في معهد الدراسات النغمية في مجال اللغة والمقامات والتقى في معهد الدراسات النغمية الكثير من الفنانين منهم كاظم الساهر واحمد نعمة ومحمود أنور أضافه إلى طالبات وطلاب آخرين مازالت لدينا سجلات خاصة بهؤلاء وقد ذكره الساهر في أكثر من مناسبة ذاكرا فضله في تعليمهم اللغة العربية ومخارج الحروف بشكل صحيح إضافة إلى إشرافه اللغوي على المذيعين في إذاعة بغداد كما إن للشيخ دراسات كثيرة عن الموسيقى والمقامات العراقية وقد عقد العديد من الندوات في بيت المقام العراقي وكان يطلعني على كل ما يدور في مجالس بغداد الأدبية والثقافية التي كان يتردد عليها .

هوايات غريبة!!

ومن اغرب هواياته التي كان يتميز بها الشيخ والتي كان لا يعرفها عنه إلا القريبين منه انه كان يجمع ويربي المتناقض والمتنافر من الحيوانات فقد لا يصدق احد بأنه استطاع إن يجمع بين قطة وجرذ وطير في قفص واحد دون ان يتعرض بالأذى احدهم للأخر رغم تجويعهم لمدة يومين عن الطعام . كذلك استطاع أن يربي حيوانا أخر هو (ابن أوى) أي الثعلب والذي دخل مصادفة إلى الجامع بحكم قربه من سوق الغزل فكان يطعمه بنفسه مما جعله ان يكون بحكم الحيوانات ألأليفة من دون إن يتعرض بالأذى لأحد .

ومن صفاته انه كان حريصا على كتبه وحاجياته ولا يرضى ان يبعث احد بها وله هوايات كثيرة يتميز بعضها بالتفرد والغرابة وكونها ليست تقليدية أو من التي اعتاد عليها الناس كثيرا .

وماذا عن عدد المؤلفات والكتب التي أنجزها الشيخ خلال حياته ؟

–لقد أنجز الشيخ أكثر من أربعين مؤلفا في مختلف مناحي الحياة ألاجتماعية والثقافية والأدبية ومازال لدينا بعضها كمخطوط لم يطبع لحد ألان .

إما عن أخر كتاب تم طبعه فهو (الحضارة الإسلامية من خلال الآية ألقرآنية) وأخر كراس كتبه كان عن (مسودة الدستور العراقي) ومن المواقف والاحداث التي لا تنسى كما تقول الشيخة (منيبة) التي حصلت معهم في سفرتهم ألثانيه الى الصين عام / ١٩٧٥ انه حصل زلزال قوي هناك كاد ان يسقط العمارة التي كنا نسكن فيها فحملت أنا طفلتي (عروض) وحمل هو كتابا ألفه مؤخرا هناك وكان يعتز به كثيرا اسماه (العروض) وهو يبحث في علم اللغة ، كما ألف هناك أي في الصين كتابا أخر هو قاموس اللغة الصينية وترجمته إلى العربية ولكن مع شديد الأسف قد تعرض المخطوط للتلف بمياه البحر اثناء سفرنا ومازلنا نحتفظ به حتى ألان رغم تعرض اغلب صفحاته للضرر ..!!

. وهنا طلبنا من الشيخة (منيبة) إن تحدثنا عن جوانب أخرى من حياة الشيخ الحنفي بخصوص والده وأشقائه فقالت :

لم يكن للشيخ أشقاء سوى شقيقة واحدة وقد توفيت قبله بثلاثة اشهر إما عن والده فقد هاجر منذ زمن بعيد إلى مصر وتزوج هناك واستقر في مدينة الإسكندرية حيث سافر إليه الشيخ في أحدى المرات وجلب صورته ليريها لشقيقته التي لم تر والدها أو تعيش في كنفه لأنه عندما هرب إلى مصر كانت صغيرة السن وتولى تربيتهم عمه وقد عاش فترة من الزمن في البصرة ثم تعرف على العديد من الشخصيات الادبيه والفكرية. ومن ابرز إنجازاته الأدبية (معجم أللغة ألعامية البغدادية) الذي أنجزمنه أربعة أجزاء أما الثلاثة الباقية الأخرى فهي مازالت كمخطوطات نأمل إن تأخذ طريقها للطباعة والنشر

لم يكن للشيخ أشقاء سوى شقيقة واحدة وقد توفيت قبله بثلاثة اشهر إما عن والده فقد هاجر منذ زمن بعيد إلى مصر وتزوج هناك واستقر في مدينة الإسكندرية حيث سافر إليه الشيخ في أحدى المرات وجلب صورته ليريها لشقيقته التي لم تر والدها أو تعيش في كنفه لأنه عندما هرب إلى مصر كانت صغيرة السن وتولى تربيتهم عمه

الحنفي ومسالك الصحافة

تهيأ له ان يطالع الصحف الصادرة في بغداد منذ وقت مبكر جدا اذ كان في الخامسة عشرة من عمره قد التحق بخدمة مجلات جمعية الهداية الاسلامية متدرجا من مستخدم بسيط الى مصحح الى كاتب ومحرر فيها كان يطالع مايصل الى المجلة من صحف خارجية بطريق المبادلة .. وفي العشرين من عمره كان رئيسا لتحرير مجلة الناشئة الاسلامية الاسبوعية . وكان سكرتيرا لجمعيتها .. وفي عام ١٩٣٩ اصدر مجلة الفتح الاسبوعية في بغداد التي كانت تبحث في الدين والادب والموسيقى . وتوقفت بعد سفره الى مصر فلما عاد واصل اصدارها بعد حين من عودته . ثم عاود اصدارها بعد احتلال العراق سنة٢٠٠٣ وكان اخر عدد لهذه المجلة في ١١صفر١٤٢٧ الموافق٢٠٠٦/٣/١١ حيث انهى تحضيرها الطباعي واكمل مواضيعها لكنه لبى نداء ربه قبل ان تطبع الصحيفة بالمطابع .. ثم تم طبع عددها الاخير من قبل عائلته .. كما توقفت بعد وفاته

وبعد مرور عامين على رحيله عاودت عائلته طباعة "الفتح البغدادي" وذلك وفاءا لصاحبها ومحاولة نشر تعاليم ومباحث الشيخ الحنفي كي تكون عونا لمريديه وقراء الفتح والمطلعين على امور العلم بجميع انواعه ..

لبث الشيخ الحنفي ينشر في الصحف الادبية والسياسية مقالات لم ينقطع عنها وصارت له في الصحف اعمدة دائمة حتى يوم الناس هذا . ان يحين اجل المرء وبيده قلم نابض.. وكان ايام صباه يكتب مجلة ورقية تسمى (الشريعة) لا يزال يحتفظ بمجموعة اعدادها منذ ١٣٥٠هجرية اذ كان يقتصر في تاريخها على التقويم الهجري القمري .. وتصادف بالميلادي سنة ١٩٣٠

طريقة تأليف الحنفي وماهية مؤلفاته

للحنفي طريقة خاصة في التأليف فقد انتشر عقله في اكثر من حقل معرفي ، واكثر الظن في ذلك هو ولهه وتفانيه الروحي الى بغداد التي رآها في العشرينيات تستعيد انفاسها بعلوم التراث ..فخط قلمه في هذا التراث مستعينا بقراءات شتى ومستعينا بقواه الوجدانية في الوصول الى هذه العلوم استعانة الجسد الى الروح ، ولقد استعان الحنفي بالحكمة في احياء تراثه بلغة الممكنات العصرية فألف في هذا الوجدان النقي المتراكم في روحه .. فكان اسلوبه في التأليف يعود على مطلق الجمع كالامثال والالفاظ والأيمان والحِرَف ثم التنسيق والتخريج والشرح والتأويل والترجيح .. ومنها ما يعتمد على النقل ومراجعة المصادر الموثوق بها من الكتب .. ومنها مايعتمد على اطلاق العنان للفكر في مجال المناقشة والغربلة العلمية ، اما كتبه المعجمية فقد استندت الى النظام الفهرس في الدقيق السليم ،،

وكذلك كتب الحنفي في ما يتعلق بالعوامل التأريخية والفكرية ، وقد كانت مسالكه في الكتابة متشعبة ومتوسعة ، فعندما يكتب في المجال الديني يقوم بالاستناد على العوامل الدفاعية او التوجيهية . وعندما يكتب في مسالك الفولكلور فيروح مستخدما عوامل الاحصاء والعرض واسلوب التوثيق .. وكل ماكان يكتبه هو يدخل ضمن اطار التذوق سواءا كان في التعليم او النقد .. وكان شديد الحذر والتوخي في كتاباته وتأكيد ابراز الحقيقة والانصاف في امرين هما الحكم والدفاع .. وكان دائم الدفاع عن العروبة والاسلام والعراق وبغداد وما هو من تراث بغداد ..

النشاط الفلكلوري للشيخ جلال الحنفي

د. صباح نوري المرزوك

الشيخ جلال الدين محيي الدين الحنفي البغدادي، باحث موسوعي وشاعر، ولد في بغداد سنة ١٩١٢م ودرس في المدارس الرسمية كما درس لدى بعض علماء عصره، اسس جمعية الناشئة الاسلامية ورأس تحرير مجلتها ، اهتم بدراسة اللغة العربية والاهتمام ببحوثها وبعد ان لبس العمامة سنة ١٩٣٣ لقبه العلامة انستاس ماري الكرملي بـ(الشيخ)، وقد عددت مؤلفاته في كتابي (معجم المؤلفين والكتاب العراقيين،ج٢) فكانت في الشريعة الاسلامية والنقد والامثال والالحان والتراجم والشعر والدراسة الادبية، وقد عمل في وزارة الثقافة والاعلام واصدر من خلالها بعض كتبه ، وكان مجلسه في مسجد الخلفاء ببغداد عامرا بالحضور من الادباء كبارا وناشئة، وقد خدم الشيخ جلال الفلكلور واسس له وجمع اجزاءه ونشر معاجم متخصصة في ذلك، توفي في ٢٠٠٦/٣/٤م، واقدم قائمة بكتبه ومقالاته في الفولكلور العراقي التي نشرها:

الكتب/

١.الامثال البغدادية (ج١ : مط . اسعد، بغداد ١٩٦٢م ، ٣١٦ص، ج٢ : مط .اسعد ، بغداد ١٩٦٤م، ٢٥٦ص) .

٢.الايمان البغدادية مع ملاحق تضمنت الايمان الحلية والموصلية والعمارية والهيتية والسامرائية والكربلائية والناصرية (مط. دار التضامن، بغداد ١٩٦٤م ، ١٧٤ص).

٣. بغداد: حياتها اليومية، شمائلها في عشرينيات القرن العشرين (دار الحرية ، بغداد ١٩٩١م).

٤. الصناعات والحرف البغدادية (مط. دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٦م، ٢٣٦ص، منشورات وزارة الثقافة والارشاد).

٥.قواعد التجويد والالقاء الصوتي (بغداد ، دت)

٦. معجم الالفاظ الكويتية في الخطط واللهجات والبيئة (مط . اسعد ، بغداد ١٩٦٤م ، ٤٢٤ص).

٧.معجم اللغة العامية البغدادية (ج١ : مط. العاني، بغداد ١٩٦٣م، ٤٣٤ص، ج٢ : مط . اسعد، بغداد ١٩٦٦م، ٢١٤ص ، ج٣ : دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٣م، ٢٧٧ص).

٨.المغنون البغداديون والمقام العراقي (مط . دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٤م، ١٢٠ص ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد) .

٩.مقدمة في الموسيقى العربية (دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٩م ، ٤٨ص)

المقالات/

١٠. الأساطير الموسيقية (م/الأقلام (بغداد)، ع٤، السنة ١ ، ص٥٢.٥٨).

١١.اسماء الاصوات في العامية البغدادية (م/التراث الشعبي (بغداد)، ع٢ ، السنة ١ ، ١/تشرين الاول/١٩٦٣م ، ص٤٣.٤٥، وع٣ ، السنة ٣٥، ٢٠٠٤م ،ص٤٢.٤٤).

١٢. اشهر قراء المقام العراقي وامهر العازفين على آلات الجالغي البغدادي (ج/ الايام (بغداد)، ع١٧١، ١٩٦٢/١١/٤م) .

١٣.الأعجميات في عامية بغداد (م/الفتح (بغداد)، ع١٣.٧، ١٠ حزيران و٢٩ تموز ١٩٣٩م ، ص٥١ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٩٤ ، ٩٨).

١٤. الاعداد في الكنايات البغدادية (م/ التراث الشعبي (بغداد)، ع٦و٧ ، السنة ٢ ، اب ١٩٦٥م، ص٣٧).

١٥.الغاز بغدادية (ج/البلد (بغداد)، ع٦٥، ١٩٦٣/١١/١٥م).

١٦. الغاز بغدادية مع أجوبتها (م/ العاملون في النفط (بغداد)، ع٢٠ ، ١٩٦٣م ، ص٣٦).

١٧.الالفاظ التركية في اللهجة العراقية (م/التراث الشعبي (بغداد)، ع٧ ، ١٩٦٤م ، ص٨٨).

١٨.الالفاظ الهندية في العامية البغدادية (م/بغداد (بغداد)، ع١٢و١٣ ، ١٩٦٤م ، ص٨٠).

١٩. الفاظ اليمانيين]معجم[(م/الاديب (بيروت)، قبل سنة ١٩٧٨م).

٢٠. امثال من بغداد (م/العاملون في النفط (بغداد)، ع١٨، آب ١٩٦٣م ،ص٣٧.٣٦).

٢١. امثال من اليمن (م/الاقلام (بغداد)، ع٣ ، السنة ٥ ، تشرين الثاني ١٩٦٨م ، ص١١١.١٢٠).

٢٢.الايمان البغدادية (م/المعرفة (بغداد)، ع٣٣، ١٥/مايس/١٩٦٢م ، ص٢٠.٢٢) .

٢٣. بغداد في رمضان (ج/الايام (بغداد)، ع٢٤٧ ، ١٩٦٣/٢/٥م).

٢٤. بغداد وتاريخها الفولكلوري في خلاصة مضغوطة (م/التراث الشعبي (بغداد)، ع٣ ، السنة ١١ ، ١٩٨٠م ، ص٤٧.٦٨).

٢٥. البغداديون والفاظ الحيوانات (م/المعرفة (بغداد) ، ع٤١ ، ١٩٦٢م ، ص١٦.١٨).

٢٦. تعقيب وتوضيح]رد على السيد شاكر هادي غضب[(م/التراث الشعبي (بغداد) ، ع١ ، السنة ٢ ، ايلول ١٩٧٠م ، ص١٦٨.١٦٩).

٢٧.تاريخ الحياة الشعبية في بغداد : كيف كان يعيش البغداديون قبل مئة عام (ج/ الايام (بغداد)، ١٦و٢٣و٣٠/نيسان و٧ ايار/١٩٦٢م) .

٢٨. التمن في الالفاظ البغدادية (م/بغداد (بغداد)، ع١٠ ، ١٩٦٤م ، ص٣٩).

٢٩. ثبت بأسماء الالوان في العامية البغدادية (م/التراث الشعبي (بغداد)، ع١ ، السنة ١ ، ايلول ١٩٦٣م، ص٤٨.٤٩).

٣٠.حروف الزيادة في العامية البغدادية (م/التراث الشعبي (بغداد)، ع٢ ، تشرين الاول ١٩٦٩م، ص٢٤.٢٧).

٣١.حول المقام العراقي (م/المورد (بغداد)، ع١ ، مج٣ ، ١٩٧٤م ، ص٢٥.٣٠).

٣٢.رجال المقام العراقي في بغداد في مئتي سنة (م/الفتح (بغداد) ، ع١.١٣ ، بين ٢٨ شباط و٢٩ تموز ١٩٣٩م).

٣٣. رد على هاشم الرجب (م/بغداد (بغداد)، ع١٤و١٥ ، تموز واب ١٩٦٤م ، ص٦٢).

٣٤.شيء عن منطقة باب المعظم وما وراءها في اوائل القرن الماضي (م/التراث الشعبي (بغداد)، ع١ ، السنة ٣٦ ، ٢٠٠٥م ، ص٣٢.٣٦) .

٣٥.صفحات من قاموس العوام]تحقيق: عامر رشيد السامرائي[(ج/العراق (بغداد) ، ٢٠٠٢م).

٣٦.صور بغدادية : الملا مصطفى الشيخلي (ج/جريدة الايام (بغداد)، ع٢٤٨ ، ١٩٦٣/٢/٦م).

٣٧.صور وملامح : الشخص الفولكلوري الدكتور اكرم فاضل (ج/الايام، ع١٨٩ ، ١٩٦٢/١١/٢٥م).

٣٨.طوب ابو خزامة (م/المعرفة (بغداد)، ع٤٦، ١٩٦٢م).

٣٩. الفصحى الاصل الاول للعامية البغدادية (م/المعرفة (بغداد) ، ع٢٢ ، ١٩٦١م ، ص١٨.١٩).

٤٠. في ذكرى المرحوم المقرئ رشيد القندرجي (ج/الايام (بغداد) ، ع٢٣٦ ، ١٩٦٣/١/٢٣م) .

٤١.في اللغة العامية البغدادية : قاموس الاطفال (م/المعرفة (بغداد)، ع٢٧ ، ١٩٦٢م، ص٩.٧).

٤٢. القبانجي ومقام المنصوري (ج/الايام (بغداد)، ع٢٢٤ ، ١٩٦٣/٢/١م).

٤٣. القلب والابدال في العامية البغدادية (م/المعرفة (بغداد)، ع٢٠، ١٩٦١، ص٥.٤).

٤٤.كلام على العتابة]رد على السيد عادل الدرة[(م/التراث الشعبي (بغداد)، ع١ ، السنة ١١ ، ١٩٨٠م، ص١٩١.١٩٣) .

٤٥.كلمات في موضوع العلاجات الشعبية القديمة (م/التراث الشعبي (بغداد)، ع٩و١٠، السنة ١٢، ايلول.تشرين الاول ١٩٨١م ، ص١٧.٢٠).

٤٦.كلمة حول المباحث الفولكلورية (م/ التراث الشعبي (بغداد)، ع٧و٨ ، السنة ٢، اذار ونيسان ١٩٧١م، ص٧.٥) .

٤٧.الكندكارية ومبيضو القدور (م/التراث الشعبي (بغداد)، ع١ ، السنة ٢، تشرين الثاني ١٩٦٤م، ص٣٨).

٤٨. الكيزان البغدادية (ج/المستقبل (بغداد)، ع٦١٤، السنة ٣، ١٩٦٢م).

٤٩. كيف كان رمضان ؟ ليالي رمضان القديمة في بغداد (ج/اليرموك (بغداد)، ع٩١، ١٩/اب/١٩٧٩م).

٥٠.ليلة المحية (ج/الايام (بغداد)، ع٢٢٥ ، ١٩٦٢/١/١٠م).

٥١.مباحث في فقه العامية البغدادية (م/ التراث الشعبي (بغداد)، ع٥ ، السنة ٦ ، ١٩٧٥م، ص٦٣.٦٦).

٥٢.المقام العراقي وطرق تلقيه (ج/الايام (بغداد) ، ع١٧٣ ، ١٩٦٢/١١/٦م)

٥٣.المقام العراقي وغناء العباسيين (ج/ البلد (بغداد) ، ع٧٣٨ ، ١٩٦٦/١٠/٢٨م).

٥٤.ملامح المجتمع البغدادي من خلال امثاله (م/التراث الشعبي (بغداد)، ع٤، السنة ٢، كانون الاول ١٩٧٠م ، ص٣٥.٣٩).

٥٥.من شوارد التاريخ البغدادي: (١) الشاي (٢) التصوير (٣) الطماطة (٤) الصحافة (م/الفتح (بغداد)، السنة ١ ، ١٩٣٩م ، ص٨ ، ٢٢ ، ٣٠).

٥٦.موسيقى التلاوة والمقرؤون البغداديون (ج/البلد (بغداد)، ع٢٢٥ ، ١٩٦٥/٢/٨م، وم/التراث الشعبي (بغداد)، ع٥ ، السنة ٥ ، ١٩٧٤م ، ص٤١.٤٩).

٥٧.الموسيقى والنوم (م/التراث الشعبي (بغداد)، ع٢ ، السنة ٢، كانون الاول ١٩٦٤م ، ص٩.٨).

٥٨.النظام العمراني في بغداد القديمة (م/ امانة العاصمة (بغداد)، ع١٧ ، ١٩٧٨م ، ص٣٨.٣٥، بالاشتراك مع عبد الرحمن البكري).

٥٩. نظرة في المعجم المساعد (م/ المورد (بغداد)، ع٣و٤ ، مج١ ، ١٩٧٢م، ص٢٧٧.٢٩١).

٦٠. هل الموسيقى غريزة نفسية؟ (م/ التراث الشعبي (بغداد)، ع٤و٥ ، السنة ٢ ، حزيران ١٩٦٥م، ص١٧).

٦١. وجه فولكلوري جديد من التراث البغدادي القديم والحديث: عزيز الحجية (ج/البلد (بغداد)، ع٩١٣، ١٩٦٧/٦/٢م) .

٦٢.وسائل التسلية الشعبية في بغداد (م/ بغداد (بغداد)، ع٢٣ ، ١٩٦٥م ، ص٣٣.٢٨ ، و ج/البلد، ع٥١٠، ١٩٦٦).

٦٣.وصف محلات بغداد قبل مئة عام (م/ الفتح (بغداد)، السنة ١، ١٩٣٩م، ص٧٩ ،١٠٢، ٩١).

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

في ذكرى الحنفي البغدادي . .

عبد الحميد الرشودي

جلال الحنفي رجل قليل المثال نادر الطراز بين الرجال أعطى وطنه وشعبه أكثر مما أخذ، أعطى عصارة فكره وحشاشة قلبه وكتب بنجيع الدم القاني أكثر مما كتب بالمداد الأسود. فإذا استطاع الموت ان يقضي على جسده الفاني – والموت غاية كل حي – فلن يستطيع أن يطوي صفحات علمه الغزير وأدبه النضيد، تلك الصفحات المشرقة والأفكار النيرة التي توج بها هامات البحث العميق والدرس الموضوعي الرصين خلال سبعة عقود كوامل حافلة بالجدال والسجال فقد الف الفقيد الكريم السباحة ضد التيار وهذا بطبيعته قمين بان يخلق له من الأصدقاء والأولياء بقدر ما يخلق له من الخصوم الألداء صمد لهم صمد الواثق ودافع عن آرائه وأفكاره حتى خرج من أكثر هذه المعامع معقود اللواء وضاح الجبين.

وإذا كان الخالق – جل وعلا – لم يمنحه بسطة في الجسم فقد عوضه عن ذلك فمنحه بسطة في العلم وفسحة في الأجل استطاع خلالها أن يكتب ويؤلف ويناقش ويساجل حتى في صفحات الجرائد والمجلات وكان له مثول دائم في أغلب الندوات والمجالس الأدبية ومشاركة في كل موضوع يطرح ومداخلة ذكية تعينه على ذلك ذاكرة عامرة لا يعزب عنها حتى الدقائق والجزئيات وذكاء ثاقب لماح وخزين من المعلومات لا يجف معينه ولا ينضب.

حدثني الصديق الراحل جميل الشواف قال: قصد الشيخ جلال الحنفي مجلس والده العلامة الشيخ عبد الملك الشواف وفتح معه نقاشاً وحواراً في بعض المسائل الفقهية والشرعية وحين غادر الحنفي المجلس قال الشيخ عبد الملك الشواف على رؤوس الأشهاد من حضار مجلسه ان هذا الشاب الذي رأيتم أعلم المعممين. إن شهادة من الشيخ الشواف، وهو من هو علماً وأدباً – لها أثرها وخطرها وبخاصة إذا علمنا أنه قالها في غيابه وبعد مغادرته المجلس لأنها لا تحتمل المصانعة أو المجاملة.

رأيت الشيخ الحنفي أول مرة سنة ١٩٤٣ وإن كنت سامعاً به ولكن لم أطبق الرسم على الجسم.. وذلك عندما دخلت جامع الآصفية لأداء صلاة الجمعة فارتقى المنبر شاب ذو عمة ضامرة كجسمه الضامر – فرأيت ثم رأيت خطيباً يرتجل الخطبة ارتجالاً فلم يقيد نفسه بالسجع المتكلف أو التغني والتنغيم الذي درج على اتباعه ومراعاته سائر خطباء المساجد فوقع من نفسي موقعاً كريماً وتقبلته بقبول حسن فأكبرت فيه روح التجديد وكسر قيود التقليد فلما انفرط عقد المصلين سألت أحدهم عنه فقال لي أنه الشيخ جلال الحنفي فقلت في نفسي هكذا فليكن الخطباء وإلا فلا. ويبدو ان الشيخ قد تأثر بخطباء المساجد في مصر فقد كان قريب العودة إلى بغداد من بعثة الأوقاف إلى الجامع الأزهر. فقد قفلت البعثة إلى العودة بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية بعد أن أصبحت مصر هدفاً للغارات الجوية الألمانية.

ثم بعد مضي عدة سنوات رأيته يتردد على مكتب مؤرخ العراق الأستاذ عباس العزاوي المحامي في خان الباجه جي الكائن في سوق الساعاتية وهناك عرفته عن كثب وقامت بيننا معرفة ومودة وقد ذكر لي العزاوي أن الحنفي كان من طلابه في دار العلوم وكان – لفرط ذكائه – يثير كثيراً من الأسئلة والنقاش في الصف.

ثم تجدد لقائي به في مجلس الأستاذ الأديب الراوية السيد مكي السيد جاسم الذي كان يلتئم شمله في مساء كل ثلاثاء في داره في المأمون. أما المرحلة الأخيرة من لقاءاتي به فكانت في مجلس الأستاذ الأديب الشاعر محمد جواد الغبان الذي ينعقد في داره مساء كل أحد في شارع فلسطين وكان الحنفي من المواظبين على الحضور فقد كان مجلساً عامراً برجال الأدب والفكر في طليعتهم الدكتور علي الوردي والدكتور حسين علي محفوظ وإبراهيم الوائلي والدكتور عبد المجيد القصاب وسالم الآلوسي وعبد الغفار وعبد الغني الحبوبيان والشاعر علي الحيدري وغيرهم الكثير ممن غابت عني أسماؤهم وأسمحوا لي أن أقتبس طرفاً من هذه الصورة القلمية التي رسمها بقلمه البليغ الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي الأسبق فهي من خيرة ما كتب عن الشيخ الحنفي: "والشيخ جلال – بعد – على هزال جسمه وضمور عوده – صعب المراس قوي النفس، يدير الحديث معك – مع أدب وتواضع – بقدرة الواثق من نفسه المعتد برأيه. ياخذ ويعطي، ويسأل ويجيب. ويفتح عليك أبواب الشك فيما أنت مؤمن به غير هائب أن يكسر قاعدة أو يخرج على مسلمة.

> **مفتاح شخصيته، إلى جانب ذكائه ودقة ملاحظته – طموح إلى أن يكون شيئاً في كل شيء وطاقة نافذة إلى كل مسارب القوة والضعف في أي مقولة مسلمة. فإن لم يجد جانب ضعف في المسلمة تلمسه في تصور خصمه لها، وهو واجد ذلك، على – أي حال – في كثير من القراء والمتحدثين إليه..".**

مفتاح شخصيته، إلى جانب ذكائه ودقة ملاحظته – طموح إلى أن يكون شيئاً في كل شيء وطاقة نافذة إلى كل مسارب القوة والضعف في أي مقولة مسلمة. فإن لم يجد جانب ضعف في المسلمة تلمسه في تصور خصمه لها، وهو واجد ذلك، على – أي حال – في كثير من القراء والمتحدثين إليه..".

كنت في صيف ١٩٦١ أتردد على مكتبة المتحف العراقي بغية الوقوف على بعض المراجع التي احتاجها في إعداد كتاب عن جميل صدقي الزهاوي فإذا بالشيخ الحنفي يأخذ مقعده إلى جانبي ويسالني عما أنا بصدده فقلت له لقد عقدت العزم على إعداد كتاب عن الزهاوي فقال حسناً تفعل وذكر أنه كان قد اتصل به وكان الزهاوي يستعين به في تدوين بعض قصائده ورسائله ثم سألته وما الذي يشغل الشيخ فقال أني أعد كتاباً عن المغنين البغداديين وقراء المقام وناولني دفتراً متوسط الحجم فتصفحته على عجل وقرأت في الصفحة الداخلية للغلاف الأخير ما هذه فحواه:

بعد الاتكال على الله انتميت إلى معهد السيد محمد الحسيني في الموسكي لتعلم فن العزف على العود وقد دفعت له القسط الأول وقد أرخ ذلك سنة ١٩٤٠ وغاب عني اسم اليوم والشهر وهذا الصنيع يدل على أن الشيخ يرى رأي حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في حلية السماع ما دام لا يشغلك عن عبادة ربك ولا يدعو إلى المجون والفجور لأن الغزالي يرى ان الغناء والموسيقى ما هما إلا محاكاة لعندلة البلابل وهديل الحمائم وزقزقة العصافير وهما من صنعة الله جل وعلا فضلاً عن أن السماع يشجع الجبان ويندي كف البخيل الشحيح ويوقظ المشاعر النبيلة في نفس الإنسان، ثم يخلص الغزالي إلى القول: فمن لم يرقه السماع فهو مختل المزاج ولا يجدي معه العلاج.

أما نظرة الشيخ إلى أهل الأديان والملل والطوائف فهي نظرة توفيقية نظرة مسالمة وموادعة وآية ذلك أن له علاقات مودة وصداقة حميمة مع جميع هؤلاء فهو في هذه السبيل داعية من دعاة التقريب بين جميع الأديان والطوائف وقد علم هذه الحقيقة كل من قدر له أن يصحبه أو يجالسه ويطلع على خاصة أمره فما أحوجنا اليوم إلى إحلال روح التسامح والتفاهم بين جميع أبناء الشعب وأن يسود الوئام بدلاً من التنافر والخصام علنا نخرج من هذا التيه ونضمد هذا الوطن الجريح ونسعف وننقذ الشعب الذبيح فقد طفح الكيل وسال السيل وصار الأخذ بالشبهة والقتل على الظنة وأصبح المعروف منكوراً والمنكور معروفاً كأن الشاعر كان يعنينا بقوله:

أرى خلل الرماد وميض نار
ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قوم
يكون وقودها جثث وهام

هذا وفي الختام آمل ألاّ تحول رهبة الموت وألم الفراق دون الإشارة إلى آثاره ومؤلفاته التي اربت على أربعين مؤلفاً مطبوعاً وأنا آت في هذه العجالة على ذكر أهمها:

١- التشريع الإسلامي – تاريخه وفلسفته – الجزء الأول – طبعه يوماً كان طالباً في الأزهر مبعوثاً من قبل مديرية الأوقاف سنة ١٩٤٠.

٢- معاني القرآن – الجزء الأول – بغداد – ١٩٤١.

٣- معجم الألفاظ الكويتية في الخطط واللهجات والبيئة بغداد ١٩٦٤.

٤- الأمثال البغدادية في جزءين ١٩٦٢ – ١٩٦٤.

٥- معجم اللغة العامية البغدادية صدر منه ثلاثة أجزاء طبع الأول سنة ١٩٦٣ والثاني ١٩٦٦ والثالث سنة ١٩٩٣ وقد وصل فيه إلى حرف الزاي.

٦- المغنون البغداديون والمقام العراقي صدر عن وزارة الإرشاد سنة ١٩٦٤.

٧- العروض – تهذيبه وإعادة تدوينه – الطبعة الثانية صدر عن وزارة الأوقاف. مطبعة الإرشاد سنة ١٩٨٥ وهو يقع في ٨٤٦ ص.

٨- كتاب عن النبي محمد (ص) قرآنياً ص٥٤٦.

إلى غير ذلك مما يتعلق بفن التجويد والإملاء والإقراء.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

يمتاز الشيخ جلال الحنفي بأريحيته ودماثة خلقه وخفة روحه... له نفس يستخفها الطرب وتسحرها الاصوات. فهذا الشيخ النشيط ذو السبعين عاما دائب الحركة دائب العمل لا تفوته شاردة ولا واردة في التعلم الا وتعلمها..
حدثتني عنه زوجته «الشيخة» كما يسميها هو قائلة:
«لا وجود للتعب والارهاق في قاموس الشيخ جلال» والجميع يعرف الشيخ جلال الحنفي بطبيعته السخية الكريمة.

الشيخ جلال الحنفي:

الرغبة في التعلم والدراسة هي التي تحركني منذ الطفولة حتى اللحظة الحاضرة

اجرت اللقاء / بشرى يوسف

فماذا يقول هو عن نفسه؟
-نحن من سكان بغداد القدماء وان كنا لا نملك فيها دارا اول كتاب تعلمت فيه القرآن الكريم هو كتاب في جامع العرب بالبصرة حيث اقمت فيها شيئا يسيرا من الوقت ابان الحرب العالمية الاولى اذ عمل والدي وعمي هناك بعض الوقت واشرت الى ذلك قريبا ضمن قصيدة عنوانها (اعتذار الى البصرة) اذ قلت:

وفي كتاتيبك اللائي قرأت بها / مع اللدات حروف الخط والسورا)
افدي بكل سني عمري واسعدها/ عهد الصبا فيك ميمونا اذا ذكرا

وحين عدنا الى بغداد الحقت بكتاب الملا ابراهيم وهو من اشهر اصحاب الكتاتيب في بغداد لدى اطفال محلات الفضل والقراغول والبارودية.

×وما تأثير طفولة الشيخ جلال الحنفي على شخصيته؟ يقول الشيخ جلال:
-عشت ايام طفولتي في فقر مدقع لا يطاق صبرنا عليه صبرا جميلا، وغالبا ما كنت اعود ظهرا من الابتدائية فلا اجد طعاما فارجع الى المدرسة لدروس ما بعد الظهر وهذا ما عودني حتى اليوم على مواجهة الجوع بلا مبالاة مهما كانت وطأته شديدة وبذلك كان صوم رمضان لدي اهون شيء مهما طال نهاره حتى استوى عندي الجوع والشبع.
×صبرت على الجوع ثلاثة ايام، بل خمسة.
-يسترسل الشيخ جلال في حديثه قائلا:
-لقد نفعني ذلك الفقر في غير موقف من مواقف الحياة.. ففي القاهرة عام ١٩٤٠ ايام الدراسة لم اتناول طعاما ثلاثة ايام بلياليها اذ كنت قد طبعت كتابي «التشريع الاسلامي تاريخه وفلسفته» فنفد ما كان معي من نقود، واذ اني قليل الجرأة على الاستدانة فاني صبرت على الجوع تلك الفترة دون ان تظهر علي اعراض تنم عن ذلك.

وفي عام ١٩٥٩ حين اوقفت في موقف شرطة الكاظمية اضربت عن الطعام خمسة أيام كاملة احتجاجا على هذا التوقيف الذي علل بكوني لا املك وسيلة جلية للتعيش في حين كنت اماما وخطيبا بارادة ملكية في جامع الكهية ببغداد فكيف تكون الوسيلة الجلية للتعيش اذن؟ ولكن ذلك كان من بعض طبيعة المد انذاك.
وللفقر في حياتي فوائد اخرى.. منها، انه جعلني انصرف الى القراءة والكتابة..
×وماذا كنت تقرأ؟
-..حببت الي القراءة في كتب السير فلم اجتز الصف الرابع الابتدائي حتى كنت قد انجزت قراءة قصة عنترة بن شداد العبسي وسيرة الظاهر بيبرس وسيف بن ذي يزن وحمزة البهلوان والف ليلة وليلة.

×الطالب المتفوق في العربية

يقول الشيخ جلال الحنفي:
-كنت متقدما في اللغة العربية في سائر صفوف الدراسة الابتدائية وما بعدها بسبب قراءاتي الكثيرة حتى اني على ما اتصور الطالب العراقي الوحيد الذي حاز درجة مئة بالعربية في امتحان البلكلوريا لعام ١٩٣٠- ١٩٣١ الدراسية.
مارست في صغري الرسم بالقلم وكتابة القصة والمقالة ونشرت لي صحف بغداد اواخر العشرينيات شيئا من ذلك، كما اني عنيت بالتردد على بعض الزورخانات وتعاطي بعض انماط الالعاب البهلوانية من نحو لعب الشناو وغيرها.
بدأت قراءة الصحف المحلية وانا في الصف الرابع الابتدائي وفي الصف السادس الابتدائي انتقلت من مدرسة الحيدرية الصباحية الى المأمونية المسائية لرغبتي في الالتحاق باعمال مجلة الهداية الاسلامية التي كان يحررها المغفور له الشيخ كمال الدين الطائي ففقهت فقه العمل الصحفي وتهيأ لي العدد الكبير من المجلات والصحف الواردة الى مجلة الهداية من الخارج فكنت اتابع قراءتها جميعا، وصرت اكتب اشياء تصلح للنشر من شعر ونثر.

× للشيخ جلال الحنفي علاقات وطيدة بالعديد من الشخصيات المعروفة في البلد

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

كتبت في منتصف الستينيات باسم مستعار

يومذاك.. فهل يذكر لنا بعض المناسبات التي التقى فيها بهم؟

..منذ ايام الدراسة الابتدائية اتصلت بعدد من الشخصيات المعروفة في البلد ومنهم العلامة اللغوي الذائع الصيت الاب انستاس الكرملي والشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي وغيرهما، فكان الزهاوي يصحح لي اوائل قصائدي والكرملي يوجهني التوجيه اللغوي السديدومنذ الصغر مارست صناعة الجدل مع جماعة المبشرين فجرني ذلك الى الايغال في مطالعة الكتب الدينية والتمرس في امور الجدل على اختلاف مناحيه.

وفي الصف الخامس الابتدائي كنت عضوا في خلية ترتبط بجمعية سرية كنا نسمع باسم لها ظاهري هو «جمعية الجوال العربي» وكان ارتباطنا بهذا الامر بمعلمنا الاستاذ عبد الستار القره غولي وذات يوم ذهب بنا الى مجموعة من اعضاء الجمعية

كان فيهم الاستاذ خير الله طلفاح وجابر عمر واخرون.

وفي ايام العطلة الصيفية رجوت الاستاذ عبد الستار القره غولي ان يكلفني كتابة دروس انشائية اكتبها فيصححها . فكنت اكتب جملة كبيرة من الاوراق فاذا به يشطب على الكثير مما اكتبه ويبقى القليل فكان ذلك يسرني كثيرا اذ اجد فيه الضوعين الاخضر والاحمر للمنهج الذي يجب اتباعه في الكتابة.

كنت اكتب مذكرات يومية وانا في السنة الرابعة الابتدائية ومازال ذلك دأبي حتى اليوم وان فقد مني الكثير من تلك المذكرات.

×تختزن ذاكرة الانسان بعض الاحداث المهمة في حياته فهل في ذاكرة الشيخ جلال بعض منها؟

..في عام ١٩٣٥ عينت خطيبا بالوكالة في جامع المرادية ببغداد وبرغم انني من هواة النغمة العراقية ومن ذوي الدراية بشيء من المقام العراقي فاني الغيت التغني على منبر الجامع يوم الجمعة وصرت اخطب الخطبة على وجه الاسترسال والتحدث المجرد من التلحين والتنغيم وهاجت الناس هياجا شديدا على هذا التصرف الذي حسبوه صبيانيا ولم تكن سني انذاك تتجاوز العشرين عاما، ولولا ان اناسا انتصروا لي وتدخل العقلاء في الموضوع لما نجوت بجلدي من تلك المعمعة الصاخبة وفي الجمعة التالية كان عندنا في بغداد العالم المتمكن الشيخ بشير الصقال عافاه الله ومد في عمره فاصعدته المنبر على وجه التكريم اذ اننا معاشر الخطباء والائمة حين نجد في المسجد الجامع عالما جليلا نقدمه لخطبة الناس والصلاة بهم.. ولم يكن الشيخ الصقال يغني في الخطبة وعند ذلك اطمأن الناس الى صحة التصرف ولا صبيانية... ولبثت احارب التغني على منابر الجمع بما اكتبه من مقالات حتى كف الخطباء عن تلك العادة وصارت الخطبة المنبرية كلاما كسائر انواع ما تتكلم الناس في اذاعة او مجلس..

×شديد الحماس لقضايا الدين

يقول الشيخ جلال الحنفي:

-كنت ولا ازال شديد الحماس لقضايا الدين انافح في مجالها كل المنافحة، ففي ايام «بكر صدقي» و «حكت سليمان» سجنت شهرا سجنا شديدا ، وقد نشرت الاهالي نبأ قرار الحكم بسجني..وذاك انني وقفت في وجه حكومتها حين اردت هدم جامع مرجان اذ القيت خطبا حماسية – لاتخلو من تهور شاب متحمس – في بني سعيد وجامع عطا وغيرهما ادت الى قرار الحبس، ولكن الجامع نجا من معاول الهدم ايام ارشد العمري الذي كان يرى جامع مرجان غصة، يغص بها. الا ان الجامع هدم بعد عشر سنين على يد حسام الدين جمعة وكنت مريضا انذاك فلم اقو على مواجهة القوم للحيلولة دون هدم هذا الجامع الرائع الذي ابقوا منه بابه، حتى ان جريدة الاهالي دافعت عن الجامع بعاطفة صادقة فلم ينفع دفاعها شيئا..

×في عام ١٩٤٧ صدر قرار من لجنة الحكام والقضاة بتعييني قاضيا في محاكم العراق الشرعية.. وتعطيل صدور الارادة الملكية بايجاب ذلك.

وبرغم التقائي برئيس الوزراء انذاك صالح جبر- الذي اعرفه معرفة شخصية – في اكثر من مكان فاني انفت ان اكلمه في امضاء هذا الامر واستصدار الارادة الملكية فيه.. ولو تحقق ذلك لاجريت في سوح القضاء الشرعي اجراءات تتجلى فيها انسانية الاسلام شكلا وموضوعا..

وحين شغرت وظيفة الامامة في البلاط الملكي وكان اثنان من ذوي قرابتي يعملان فيه ولهما الصلة الوثقى بالملك ولكنني لم اكلم احدهما في ان تناط هذه الوظيفة بي برغم رغبتي فيها بل كلمته – وهو طاهر محمد الزبيدي مرافق الملك –في ان تناط هذه الوظيفة باحد زملائنا وقد عين فيها، وكان ذلك تعبيرا عن طبيعة الايثار في نفسي مهما كانت الظروف..

×ارى من خلال هذا السرد التاريخي للاحداث ان للشيخ جلال الحنفي عزة نفس واعتدادات بالرأي وجراة بالمجاهرة الم تؤثر هذه الصفات في مواقف البعض منك؟

-كنت ولا ازال كثير الاعتماد على نفسي ومتابعاتي الدراسية واعتدادي برأيي الذي لا اتنازل عنه الا بدليل قطعي ثابت، ولم اجدني تخوفت ان اعلن بما اجدني استقررت عليه من رأي في امر ادبي أو اجتماعي أو ديني ما دمت واثقا في سلامة موقفي في هذا الامر.

ولم اكتب شيئا بتوقيع مستعار الا ايام عبد السلام عارف حين كانت تنشر لي جريدة العرب كلمات يومية بعنوان عام هو «قرأن وسنة» وكان ذلك عندي من خير ما كتبت لفظا وعناية ومعنى واسلوبا فكان توقيعي اونة (ج) واونة (ح) اذ كان الرجل يكره ان يجدني اكتب مقالة او اذيع حديثا.. ولم يكن شيء من ذلك يغيظني فاني ارتاح لتشبيه نفسي بالكرة فانا مثلها اذ كلما ضربت بالارض قفزت الى الجو..

وبعد فصلي من الاوقاف عام ١٩٥٩ خرجت الى عالم الفلكلور والتأليف فنشرت غير قليل من الكتب..وفي يوم صدر مرسوم جمهوري بتوقيع رئيس الجمهورية وكان عبد السلام عارف باسناد مهام دينية الي، غير دينية رفضت تنفيذ المرسوم بكل استنكاف برغم الحاح رئيس الوزراء يومذاك علي بالالتحاق بتلك المهام..

ثم كان شخوصي الى الصين عام ١٩٦٦ فنجوت من القوم الظالمين.

×والان لنتطرق الى اهم الاعمال التي قام بها الشيخ جلال الحنفي؟

قضيت ما بين عام ١٩٤٨ و١٩٥٨ في خدمات اجتماعية وانسانية نؤديها منذ انشأنا انا والشيخ محمد فؤاد الالوسي والشيخ عبد الحق حامد المسطوني النقشبندي رحمهما الله جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق.. وكنت رئيسها الدائم وكان من تلك الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق ومعالجة مشاكل التشرد وغيره من العلل الاجتماعية، وكانت معالجة البغاء من مهمات ما انصرفنا اليه بكل جهد واصرار ولكن الجمعية الغيت عام ١٩٥٨ واذاك تنفسنا الصعداء ونمنا على خرزات ظهرنا لاننا ارغمنا على الاستراحة من عناء ما ورطنا انفسنا فيه...

وفي عام ١٩٧٧ انشأنا مركزا اقرائيا سميناه هذه التسمية لنبعد عنه سلطان وزارة التربية اذ لو سميناه معهدا اقرائيا لكانت ادارته من اختصاصاتها فاذا اطلقنا عليه اسم المركز الاقرائي ظل بمنأى عن سلطان وزارة التربية وبقي امر ادارته بيد وزارة الاوقاف..

وكانت من بعض جهودنا فيه تثقيف المرأة اقرائيا لعلها تكون في بنات جنسها المقرئة التي تلهب المشاعر بالتلاوة القرآنية الجيدة ولكن المركز اثر ذلك لان صوت المرأة عورة!!»والامر يومئذ» ..

×وماذا عن رحلة الصين؟

..في عام ١٩٦٦ كما ذكرت سابقا طلب مني التدريس في الصين.. وهناك درست اللغة الصينية ووضعت نواة للقاموس الصيني العربي.. كما تمكنت من اللغة الانكليزية وبالمقابل قدمت خدمة للغة العربية حين درستها هناك.

وكتبت العديد من المقالات عن الصين يصل عددها ٣٠٠ مقالة..

كما نظمت قصائد عن بغداد لا تعد ولاتحصى كنت اترجم شعوري بالغربة الى قصائد نشرت في مختلف الجرائد والمجلات..

×في ذكر القصائد هل للشيخ جلال الحنفي ديوان شعر مطبوع ام بقايا ديوان فقط؟

..عندي ديوان ومجموعة كبيرة من القصائد منشورة في الاديب البيروتية وقسم في السياحة التي كان يصدرها مروة، وفي القاهرة عام ١٩٣٩ نظمت شيئا نشرته لي مجلة الكشكول وكنت خلال عشر سنوات سابقة تركت نظم الشعر تماما.. والسبب انني شعرت بان نثري كان ضعيفا فاردت تقوية الكتابة.. والحقيقة ان الانسان لايستطيع ان ينظم قصيدة يوميا ولكنه يستطيع ان يكثر من الكتابة وبعد ان قوي النثر عدت الى كتابة الشعر..

×وقصتك مع المقام العراقي كيف ابتدأت؟

يقول الشيخ جلال الحنفي.

احب بغداد بشكل فيه تهالك وكل شيء بغدادي اصيل اخذته بكثير من الاهمية والعناية..

كنت اتردد على المساجد

واستمع الى المقرئين يقرأون القرآن وكنت اسأل عن النغمة ، بعدها تعرفت على الملا مهدي وهو الذي علمني العزف على العود في الثلاثينيات واصبحت ادور على المغنين وادون تأريخهم وتعلمت منهم شيئا عن المقام العراقي..

×نحن نعرف ان حياة الشيخ جلال الحنفي حافلة بالمؤلفات والاعمال الكثيرة.. فهل يذكر لنا الشيخ بعضا منها؟

-المؤلفات والاعمال كثيرة واذا اخذنا فترة عملي في مجال التراث والفولكلور فقط، الفت في تلك الفترة «الايمان البغدادية» ، «الصناعات البغدادية» ..الامثال البغدادية ، معجم الالفاظ الكويتية، معجم الالفاظ التونسية..» الامثال التونسية ، ومعجم اللغة العامية البغدادية ..الذي يتألف من سبعة مجلدات طبع منها اثنان والباقي بانتظار الطبع..

×حين صدر معجم اللغة العامية البغدادية اعترض البعض على استعمال كلمة لغة عامية والدارج هو لهجة عامية.. فما كان رأي الشيخ جلال الحنفي حينذاك.؟..

-اعترض البعض على كلمة اللغة وانا اعترض على استعمال كلمة اللهجة العامية لان اللهجة تأتي من اللغة والعامية ليست لهجة من لهجات اللغة العربية – حاشا الله اللغة العربية منها – وبالرغم من ان فيها نسبة عالية من اللغة العربية لكنها لغة مستقلة برأيي ابتلت بها العربية.

وكانت العامية تسمى جلفية وهو انسب تعبير لها...

×ومتى بدأت فكرة تأليف معجم باللغة العامية؟

بدأت افكر بالموضوع في الصف الخامس الابتدائي حين كان يلفت نظري بعض الالفاظ العامية التي انتبه لها ولم اجدها في كتب السير التي قرأتها...

لذا بدأت اسأل عن هذه الالفاظ فكانوا يستهزئون بي.. واول كلمة نبهتني هي «تصلخ» بمعنى «عيب» واخذت اجمع الكلمات على غير هدى لكي يتيسر لي عمل قاموس..

وتأليف معجم باللغة العامية مهم وضروري لنتابع من خلاله دراسة الالفاظ وتأصيلها.. فلو كان هناك قاموس قديم لكنا عرفنا ما يدور في ذلك الوقت من شؤون الحياة المختلفة.

مجلة الف باء حزيران ١٩٧٧

قضيت ما بين عام ١٩٤٨ و١٩٥٨ في خدمات اجتماعية وانسانية نؤديها منذ انشأنا انا والشيخ محمد فؤاد الالوسي والشيخ عبد الحق حامد المسطوني النقشبندي رحمهما الله جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق.. وكنت رئيسها الدائم وكان من تلك الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق ومعالجة مشاكل التشرد وغيره من العلل الاجتماعية، وكانت معالجة البغاء من مهمات ما انصرفنا اليه بكل جهد واصرار

العدد (1800)
السنة السابعة
الخميس (20)
آيار 2010

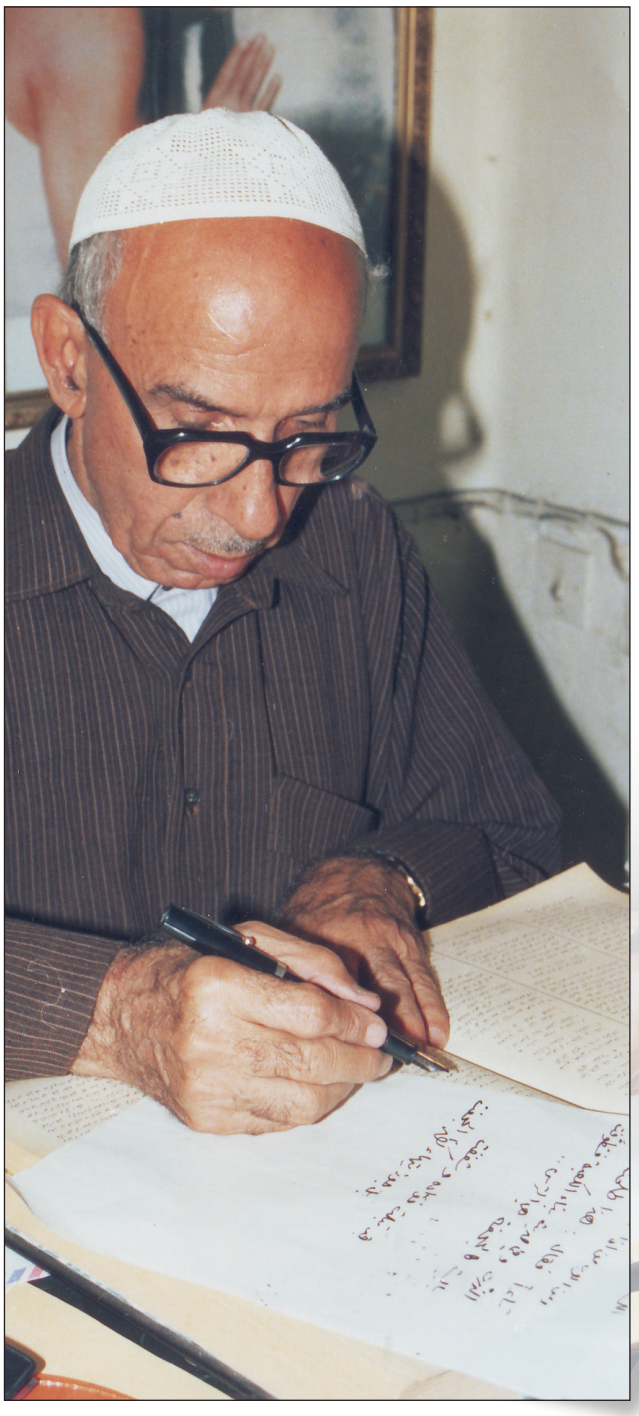

كان الحنفي يخطب في الجامع ويؤم الناس في صلواتهم، فهل كان رجل دين حقاً..؟

- هو رجل دين، لكن ليس كرجال دين في تقاليدهم وطقوسهم، انما كان ثائراً في تنوعه الانساني، خرج بالجامع إلى معركة الحياة يحارب الذل والفقر والظلم مهما كان مصدر هذه الافات: سلطة المجتمع او سلطة الدولة حتى حوصر. في أنفاسه وفي رزقه وفي شؤونه العلمية، وحاربته الاوقاف نصف قرن فلم تسعده في جامع اذ تجعله يؤلف العلم او التشريع بنبوغه الخاص، ثم حاربه رجال الدين لهم حصص في كراسي الدولة، لان الحنفي ما اراد الدين عمائم فقط بل الدين ان تنزل العمائم إلى الساحات وترى المأساة التي تطحن اليتامى وجهالة الناس، وعندئذ يصبح الدين رحمة وطهراً، بل يصبح الدين مأوى لكل المعذبين في الارض، ويغدو رجل الدين: هو المخلص من آفات القرون الاولى..!

جلال الحنفي . .
الصوت الثائر في موسوعية الثقافة العربية

حميد المطبعي

هل لكلامك هذا دلائل ومستندات...؟

- قرأت اضبارته فوجدت عجائب الاشياء على ظلم هذه الشخصية في تاريخنا الديني، ففي بواكيره فصل من دار العلوم وكان في الصف الخامس النهائي لأنه تجرأ وفسر نصوصاً دينية باجتهاده الخاص، ثم رأيت الحكومة تنقله من جامع قريب اليه إلى جامع في جنوبي العراق لان الحنفي خطب يسخر من مدير الاوقاف لجهله بالاوقاف، وعندما عين قاضياً في اواخر العهد الملكي ذهب الواشون إلى البلاط وجمدوا الامر.. كان يواجه محنة لا مفر منها..!

هل ظهرت بوادر طائفية في خطبه وفي دراساته...؟

- بعض العوام يعتقد انه ما دام الحنفي يحمل لقب طائفة معينة منذ طفولته العلمية فهو حتماً طائفي ويصدر عن بيئة طائفية، وهذا اعتقاد مغلوط، فالحنفي رجل موحد نبيل في ديانته ومعتقده، وحتى في نياته السرية او في مجالسه الخاصة كان يصد التضخم الطائفي والغرور الاعتقادي، وقد دفع إلى ذلك كراهية وضغطاً (قانونياً) الا انه هرب من الابواب الخلفية ونجا بجلده وبعقله وبوجدانه.. وتسألني لماذا كان جلال الحنفي لا طائفياً، فسأقول لك انه مظلوم، والمظلوم ليس بطائفي، ولانه ثانياً: يدرك المغزى الجوهري للدعوة الاسلامية، ويدرك ان الاسلام في كل تشريع جاء موحداً ويبشر بتوحيد الوسيلة لتوحيد الغاية..!

كان والده واسمه (محيي الدين) مجرد رقم في سجله الابداعي، وسألت صديقه الوحيد عبد الحميد العلوجي عن اجداد الحنفي، قال: ان الحنفي صندوق مغلق.. وفعلاً كان الحنفي يتهرب من شبح هذه الاسئلة ومثيلاتها..!

وهل ظهرت عليه بعض الافكار الالحادية كما زعم حساده...؟

- لأنه يعارض بعض رجال دين في تفسيراتهم للسلوك الديني، رموه بتهم شتى ومنها تهمة الالحاد، في مجالسهم الخاصة وليس في وثائق..

كيف تقيم الدليل على اشراقية وتوحيدية الحنفي...؟

- في اواخر الثلاثينيات وأثناء دراسته في الازهر اصدر الحنفي كتاب (التشريع الاسلامي تاريخه وفلسفته) فلقي ترحيباً ومحبة من لدن علماء الازهر وفي مقدمتهم العلامة (محمد فريد وجدي) حيث كتب عن الكتاب في مجلة الازهر معجباً، قائلاً: (والحنفي ذو عقلية عصرية جمع بين التالد والطريف، فنرجو لكتابه الرواج الذي يستحقه)..

وفي سنيه الاخيرة اصدر الحنفي كتاب (معاني القرآن) وهو مجلد ضخم يفسر فيه القرآن بروحه الواقعية وبخبرة الفقيه الكبير، وكان فيه أيضاً شجاعاً تجاوزت شجاعته الادائية شجاعة المفكر المصري سيد قطب في كتابه الكبير (في ظلال القرآن).. وظهر الحنفي في كتابه التفسيري المؤمن الاشراقي الفكرة والاسلوب والرسالة، وفضلاً على ذلك فللحنفي كتب اسلامية اخرى يجذبك اليها بشوق عارم إلى الاسلام كحركة وتاريخ وفلسفة واقعية، ومع ذلك تصادفه في كل واقعياته الاسلامية متواضعاً زاهداً متقشفاً ومن دون دعاوى ضاجة او فارغة..

من أين جاء بهذه القوة إلي شخصيته وهو لا يملك حكومة اب او عشيرة...؟

- قوة روحانية خاصة به، وايمان روحاني ترشح عن قوة بيولوجية فطر عليها، وهذه هي اقدار الرجال، ولو كانت قوته الروحانية هذه تتكئ على عامل خارجي كالعشيرة مثلاً، فلربما ضعفت في مرحلة وجفت وانتهت في مرحلة تالية.. لكن الحنفي بقي وهو على فراش المرض يصارع الموت، يكتب ويومض ويرهص وينادي وحيداً وحيداً..!

مكانة والده؟ وهل لاحظت اثراً من والده عليه...؟

- وكان والده واسمه (محيي الدين) مجرد رقم في سجله الابداعي، وسألت صديقه الوحيد عبد الحميد العلوجي عن اجداد الحنفي، قال: ان الحنفي صندوق مغلق.. وفعلاً كان الحنفي يتهرب من شبح هذه الاسئلة ومثيلاتها..!

لماذا تلصق كلمة (الشيخ) به منذ فجر حياته...؟

- كان اول من اطلق عليه لقب (الشيخ) هو العلامة الاب انستانس ماري الكرملي في سنة ١٩٣٣ أي منذ رآه معتماً بعمامة، فاستهواه اللقب وصار بمثابة توقيعه الشخصي..

ولماذا يسمي الناس المعمم شيخاً...؟

- كلمة الشيخ منذ عهد العباسيين كثيراً ما كانت تطلق على العاملين في اكثر من فرع علمي وادبي كالشيخ ابي الفتح عثمان بن جني والشيخ الرئيس ابي علي بن سينا وغيرهما.. فهو لفظ جاوز في معناه هذا ما وضع له في الاطار اللغوي في تعريف تحدد به السن..!

وكنت اري ذقن الحنفي حليقاً املس بلا لحية وهو الشيخ، لماذا...؟

– وسألته السؤال نفسه فأجاب: كنت اتمنى ان تكون لي لحية بطول لحية الاب انستاس الكرملي فانها روعة في عالم اللحى وفيها من الهيبة ما يميز صاحبها مكانة في النفوس ولكن صرفني عن ذلك اكثر من صارف، فأنا امام في المساجد وليس في ذلك كبير شأن يستوجب ان تكون اللحية في وجهه مصونة لدى دوائر الاوقاف والناس، وكان راتبي ضئيلاً ولحية الفقير مهينة ومخذولة..!

وصف الشاعر الرصافي عمامة الحنفي بأنها عمامة غريبة في العراق.. لماذا..؟

– لم يقصد الرصافي تأثر الحنفي بعمائم المصريين، بل اتخذ من صغر عمامة الحنفي حجة ليسخر من ذات الحنفي نفسه بعد ان كتب الحنفي سلسلة كتابات يمتدح فيها شعر الزهاوي (خصم الرصافي اللدود) وكأن الحنفي أراد من كتاباته تلك ان يمسح الرصافي من خريطة الاولية في الشعر العراقي، ثم على هامش كتابات الحنفي كتب الرصافي قصيدة اسقط فيها الحنفي سلوكاً واخلاقاً، جعلت الحنفي يذهب إلى النجف ويطلب من المراجع الدينية العليا فتوى تكفر الرصافي وبيده قصائد للرصافي تلمح الى الالحاد او شبيه به، لكن المراجع رفضوا تكفير الرصافي (لان تفسير الشعر يخضع لاجتهادات عدة)..

وبقي الحنفي يطارد الرصافي منذ عام ١٩٤٥ شعراً وتثريباً في مجالس بغداد، حتى اذا اطل عام ١٩٦٢ يقوم الحنفي باصدار كتاب (الرصافي في اوجه وحضيضه) وفيه يقص اجنحة الرصافي الشعرية (خلال ٤٠٠ صفحة في الجزء الاول والجزء الثاني بقي خطيأ) وما اروع النقد البياني الذي وجهه الحنفي الى مجموع شعر الرصافي، وكتابه كان اية في النقد البلاغي والتحليل الدلالي وسمو الذائقة الشعرية فيه وسمو علمه بالنحو والصرف والابدال والاعلال.. والمدهش ان الحنفي لم يقذع الرصافي كما اقذع الرصافي بالحنفي، انما التزم الحيل الشرعية في النقد الخالص ليعري سقطات الرصافي وهفواته وجنونه في الاستخدامات البلاغية والنحوية، وكتابه هذا يصلح ان يدرس في الجامعة كأنموذجية نقدية على مدي القرن العشرين..!

○ صادقته انت خمسين سنة، فهل كشفت عن فلسفته الحقيقية...؟

– الخص فلسفته ببيت من شعر أبي نواس يقول فيه:

ما ارتد طرف امرئ بلذته
الا وشيء يموت من جسده

ثم يقول الحنفي! تماماً لفلسفته:

(الحياة مدرسة تدرس الاحياء وقائع الحياة باسلوب النظرية الصينية: تعلم السباحة في السباحة)...

هل الحنفي يشبه احداً من علمائنا التراثيين القدامي...؟

– يشبه الموسوعي العراقي الجاحظ، واضع المنهج الفولكلوري الشعبي في العالم، الذي دون اللهجات والبخلاء والحيوان والرجال والموسيقي (... الخ)، ولا ابالغ ان قلت ان الحنفي تجاوز الجاحظ في كثير من تصانيفه ولاسيما في اللهجات واللغات العامية، فيعد الحنفي مرجعية فيها ويستحق عليها الجائزة الكبرى من الجامعة العربية، ولا اقول جائزة الجامعة العراقية التي شغلتها خردة القرون الاولى، كما لا اقول جائزة المجمع العلمي العراقي الباحث عن ارستقراطية العلوم..

ولماذا ابعد عن عضوية المجمع العلمي...؟

– كان كل عضو يرشح صديقاً له إلي العضوية، فصار المجمع منذ تأسيسه ١٩٤٨ حكراً علي اعلام من دون غيرهم.. وان كانوا اعلاماً من الدرجة الاولى، والحنفي عبر حياته العلمية ما كان يسعى إلى عضوية في مجمع او اتحاد او جمعية برغم انه تلقى اخباراً بعضويات عدة في مجامع علمية في الهند وباكستان لكنه زهد بها واعتذر من التلبية، انما كان يسعى إلى العلم فقط مجتهداً فيه، مؤلفاً، مبشراً برسالة المعرفة لوجه الله..!

هل كان الحنفي حزبياً او مر بتجربة حزبية...؟

– لا ايد أو ناهض حزباً، واللاحزبية عنده هي اللاطائفية في فكره، وفي عام ١٩٤٠ ظن نوري السعيد مهندس السياسة العراقية، بأن الحنفي ينضوي في حزب سري بعد ان كثر انتقاده للوزارات في صحافة بغداد، فسأل وزير الداخلية: (ماذا يريد الحجة؟) اجاب الوزير: (باشا.. الحنفي ديدن الانتقاد وليس مدفوعاً من حزب) قال السعيد (اذن اعطه اجازة لاصدار جريدة..) منح الحنفي رخصة لاصدار جريدته (الفتح) فواظب كعادته على التشريح لاية مخالفة وخاصة المخالفات التي تشيع في مديرية الاوقاف وظل فيها يكتب بثلاثة اسماء مستعارة، ولكل اسم اسلوبه وبلاغته في الاستجواب والردع الصحفي..!

وابتعاده عن الحزبية ليس خوفاً من عواقبها، بل خوف ان يحاصر في حزب معين فيعادي حزباً آخر، وهو الذي خلق للجميع كاتباً ومفكراً يرق لسماعه الجميع.. لكنه تنبئنا افكاره بأنه كان سياسياً في اعلى درجات الوعي السياسي وفي اعلى درجات المناورة السياسية بدليل تخلصه من السجن وهو في اعلي توجيهاته الانتقادية (الجارحة) لاقطاب سياسيين في الدولة، وبدليل آخر انه نجح في تمرير كتبه علي رقابة المطبوعات بسلاسة لكنها ما ان تطبع وتوزع حتى تقوم الضجة على افكار مناقضة لافكار المجتمع، فيتصل نوري السعيد بوزير داخليته: (من اعطى الحجة الموافقة علي كتابه ويجري التحقيق مع الرقيب الذكي الشجاع.. وما كان احد من السياسيين من يطمع بجلال الحنفي، لان جلالاً ليس فرداً كما الافراد يغري بوظيفة لامعة، وهو يستكين في رعب او تهديد، ولو اراد لنال رضا الكراسي الكثيرة، لكنه فضل الفقر والتصرف على متع الدنيا، فعاش ابياً كريماً شامخ العينين، يسكن ويأكل ويعيش في عنابر وأقبية جامع عطا وجامع الازبك وجامع الخلفاء في اكثر عمره..!

بقي الحنفي يطارد الرصافي منذ عام ١٩٤٥ شعراً وتثريباً في مجالس بغداد، حتى اذا اطل عام ١٩٦٢ يقوم الحنفي باصدار كتاب (الرصافي في اوجه وحضيضه) وفيه يقص اجنحة الرصافي الشعرية (خلال ٤٠٠ صفحة في الجزء الاول والجزء الثاني بقي خطيأ) وما اروع النقد البياني الذي وجهه الحنفي الى مجموع شعر الرصافي، وكتابه كان اية في النقد البلاغي والتحليل الدلالي وسمو الذائقة الشعرية فيه وسمو علمه بالنحو والصرف

علي أي من العلماء تخرج الحنفي...؟

– كان يدرس علوم الدين وحده ويستلهم العبر وحده ودائماً خارج الاستاذ، ودائماً يعلم نفسه بنفسه، فقد رزق بذاكرة اسرع بالحفظ من عقله، ورزق بحافظة انشط من ارادته، فحفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، وفسره مستعيناً بالمعاجم، وقرأ الشعر القديم كله ووثق امثال العوام وانغام واغاني المغنين وكان يدرس على فانوس وراتبه اقل من راتب الحارس، وكان يتخيل ويصدق تخيله..!

ماذا قدم من مؤلفات دينية...؟

– عدا التي ذكرناها فقد اصدر (معاني القرآن) ١٩٤١ وهو تفسير الجزء الاول من السور القرآنية واستخدم فيه خطة جديدة في التفسير بناها على ضرورة فهم المسالك الكلامية التي جرى عليها اسلوب القرآن، وفي هذا الكتاب اظهر قدرة علي التفقه والتمعن في علم الاصول..

واصدر كتاب (ايات من سورة النساء) ١٩٥١ وأثيرت ضجة بشأنه..

وله أيضاً (الفلسفة الصحية في الاسلام) ١٩٥٢ وفيه مباحث عدة في الوهم والوقاية..

وماذا قدم خارج التأليف الديني...؟

– افضل كتبه في الاداب كتابه (العروض: تهذيبه واعادة تدوينه) ١٩٧٨ ويقع في (٨٦٠) صفحة وهو اهم كتاب في علم العروض انتهج فيه منهج التبسيط وتصحيح المصطلحات والتوسع في البحور..

وقريباً من علم الموسيقي اصدر (قواعد التجديد والالقاء الصوتي) وهو من خيرة مصادر علم الاصوات واللسانيات..

وله (معجم اللغة العامية البغدادية) سبعة مجلدات طبع منها بعض اجزائها وفيه يستوفي الافا من الفاظ العامة ومصطلحاتهم وبيان اصول كثير من هذه الالفاظ وتجذيرها اللغوي، وقد افنى حياته في تأليفه..

وللحنفي كتب اخرى تقدر بثلاثين كتاباً ومثلها كتب خطية..!

هل ترك الحنفي ثروة من المال والعقار...؟

– اسألني كيف عاش وكيف امتحن في هذه الحياة وكيف تجاوز جدار الفاقة كي يكتب ويبدع، ومع ذلك كان لا يشك او يلحد او يزفر زفرة على ماضٍ مضي...!

ما اخطاؤه البارزة...؟

– كان صارماً في تعامله مع الصحافة، فهل صرامة العالم خطأ هذا ما لا اعلمه، وكان اعتداده بنفسه شديداً، فهل يحق للعالم ان يعتد بلسانه وهذا أيضاً مما لم افهمه.. كان انساناً وعالماً ومنبراً...!

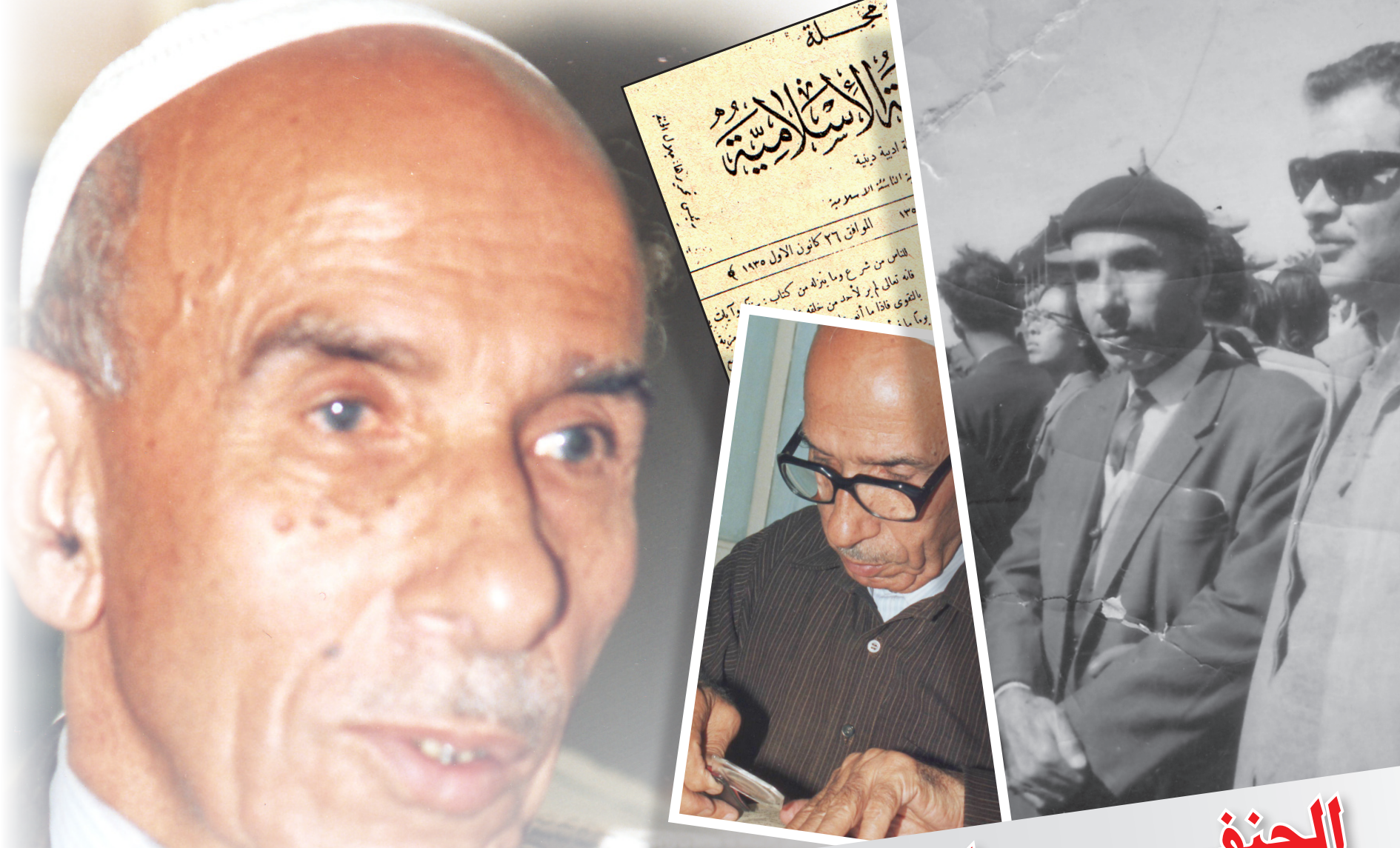

الحنفي .. حياة مليئة بالمنجزات الفكرية

ولد الشيخ جلال الحنفي البغدادي سنة ١٩١٤ في بغداد محلة (البارودية) التي اصل لفظها على ألسنة الناس (بارودجية) . اي صنّاع البارود او باعته .. كان الوضع الاقتصادي لأسرته مستقرا بعض الاستقرار .. وبعد مرور فترة من ولادته ليست بقصيرة تم وضع رأسه في فوهة الطوب الذي كان يستخدم لغرض مدفع الافطار انذاك وهذه سنّة سنّها اهل بغداد اعتقادا منهم أن الطفل عندما يكبر يكون محبا ومخلصا لوطنه ويكون ذا شجاعة فائقة وجرأة حذقة .. وفي سن مبكرة سافر اهله الى البصرة ، وهناك كان التحاقه بكتّاب في جامع العرب ، وقد كان سفرهم بالباخرة حيث انطلقت من منطقة شريعة المصبغة التي تقع عندها اليوم عمارة تسمى بـ(الدفتردار) .. يقول الحنفي:[... كنت انظر خلال تحرك الباخرة الى البيوت المطلة على النهر في سائر المدن التي مرت بها الباخرة فاستمتع بمناظر هذه البيوت استمتاعا يذكرني بمشاهد بديلة ألفتها في صغري بمحلة (القراغول) ببغداد]. وكانت هذه رحلته الاولى وهو طفل صغير .. يقول الحنفي عن البصرة:[... ان البصرة صارت عندي عدل بغداد شأنا ومنزلة ، فلقد وقعت فيها عيني على اناس يعلمونني الحروف ويهدونني الى معرفة السطور وقد اجللت هذا الذي كان يعلمني وتذوقت ذلك المعنى الرائع في المثل العربي الثمين " من علمني حرفا ملكني حرا" فما تلكأت لحظة واحدة عن الدوام في الكتّاب الذي كان مفضلا عندي]. كما قال الحنفي:[... سفري الى البصرة على ما يتراءى لي الان جعلني شديد الحنين الى بغداد ، ولو كنت قد صرت شاعرا شعبيا لانصرف جانب من نظمي الى التغني ببغداد بشعر عامي .. ولكني قدّر لي ان اكون كاتبا ومؤلفا فان شيئا من مجالات تصريف هذا الاختصاص اصابت منه بغداد ما اصابت بحكم تعلقي بها وهو تعلق نما في نفسي بسبب الفراق المبكر .ولا يخفى ان الحنين للوطن ينشأ في كثير ممن يفارقون بلدهم على كبر لانهم يفارقون الكثير ، والطفل لا كثير له في مكان يفارقه وانما له القليل القليل ومع ذلك فانه يجد في تركه واقعا معلوما الى غيب غير معلوم شيئا يؤثر في نفسه او انه يبقي فيها بعض الاثر وقد يكون عميقا ، ومن هنا وجدتني اليوم اكتشف سرّ حبي لبغداد وانصرافي الى خدمتها فولكلوريا في الاقل].. اكمل الابتدائية عام ١٩٣٠ وقد نال في امتحان البكالوريا بمادة اللغة العربية مئة بالمئة وبهذا يعد اول طالب يحصل على هذه الدرجة انذاك.. التحق بكلية الامام الاعظم وكانت كلية يقبل فيها خريجو الابتدائيات وبعد سنتين غُيّر اسمها الى "دار العلوم العربية والدينية" كما ازيلت عنها صفة الكلية فصارت مدرسة ثانوية على مستوى دور المعلمين.

قاص ... شاعر .... محدث

في سنة ١٩٣٥ تم التحاقه بالوظائف الدينية في مساجد الاوقاف .. وفي سنة ١٩٣٩ كان التحاقه بالازهر الشريف بالقاهرة واذ كانت الحرب العالمية الثانية تهلك الحرث والنسل فقد اغلقت الجامعات المصرية ابوابها فعاد الى العراق عام ١٩٤٠.. مارس التعليم والصحافة والخدمة في المساجد .. وفي عام ١٩٤٧ صدر قرار من لجنة الحكام والقضاة بتعيينه قاضيا في محاكم العراق الشرعية .. واسس جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق سنة ١٩٤٨..

للشيخ الحنفي جمهرة من الفتاوى في قضايا الطلاق نهج بها نهج التيسير والتطبيق الشرعي الصحيح في معاملة قضايا الطلاق ، وذاك للذين يراجعونه مستفتين عنده في هذا الامر..

اذاع الكثير من الاحاديث الدينية والادبية والتراثية وفي شأن المقام العراقي من اذاعة بغداد منذ اول نشوئها .. اتصل حين وجوده في مصر ١٩٣٩.١٩٤٠ بجمهرة من كبار علمائها ومفكريها منهم الشيخ محمد الخضر حسين ومحمد فريد وجدي ومحمد زاهد الكوثري وآخرون من اقطاب الفكر هناك.

وفي العراق اتصل منذ ايام شبابه الاول بثلة كبيرة من رجال العلم والادب واللغة كان منهم امام العربية الاكبر الاب انستاس ماري الكرملي والشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي ومن اساتيذه في الجامعة الاستاذ طه الراوي واتصل بالشيخ محمد القزلجي وتعلم منه الكثير . والشيخ عبدالقادر عبدالرزاق الذي كانت له امامة الاقراء في بغداد واتصل بغير واحد من كبار المراجع المعروفين في النجف وبمشاهير رؤساء الاديان في بغداد .، سافر الى الصين عام ١٩٦٦ لتدريس العربية في جامعاتها ومكث فيها حتى عام ١٩٧٠ وخلال ذلك كان زواجه من امرأة عراقية وولد له في الصين ولده البكر (لبيد) واثنان اخران من الابناء هما (داعية وعروض) اما في العراق فولد له (عقيل) في محافظة كركوك و(واعية) ببغداد. واعيد الى الجامعات الصينية عام١٩٧٥ ولبث نحو سنتين عاد بعدهما الى بغداد .. ومن الصين كتب مئات المقالات للصحف العراقية وغيرها ..

نظم الشيخ الحنفي الشعر وهو في سني عمره المبكرة حيث تأثره وهيامه في اثناء فترة طفولته بسيرة عنترة بن شداد العبسي .. اذ كان يكثر منه ويقل وقد تم له من ذلك طبع دواوين ومجاميع وماتزال نسبة عالية من شعره لم تطبع بعد في ديوان وان كان معظمها قد نشر . وآخر قصيدة نشرت له كانت خطابا موجها للمسلمين بمناسبة الحادث الاليم الذي تعرض له ضريح علي الهادي في سامراء يوم٢٠٠٦/٢/٢٢.. وقد اوصى اولاده بتوزيعها على الجمهور..

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم